الغــزاليّ والمــولويّ

الدكتور عبدالكريم سروش
مؤسّسة الدّراسات والبحوث الثّقافية

في المقال دراسة عن عارفين كبيرين، هما الغزالي والمولوي، رغم المصاعب التي يواجهها المتأمّل في شخصيّة هذين الفذّين. قضى الكاتب مضجعه ليعرّفنا عليهما أوّلاً، ثمّ يبيّن لنا معالم طريقة كلّ منفرداً والتفاعل الكبير الذي حصل للمولوي من عقائد الغزالي وسلوكه وتأثير العالم الإسلامي بأفكارهما القوية الباعثة النابعة من قرارة أنفسهما.

قد عزف الغزالي والمولوي كلاهما عن حبّ الدنيا وملذّاتها والولع بها وصرفاً جلّ همهم في حبّ الله ورضاه والسلوك إليه والعدول عمّا سواه وتركوا لمن خلفهم مشرباً عرفانياً نقياً عذباً بعيداً من التدليس والرّياء والملق.

ويورد الكاتب في مقاله هذا ميزات واختلاف كلّ منهما في آرائه ويقف عندها موقف الناقد المرهف.

قلّما نجد بين مفكري العالم الاسلامي من لم يتأثر بأفكار المتكلّم والصوفي الايراني المسلم الكبير الامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وصان النفس من تأثير حركته الباعثة القوية. هذه الصيانة التي هي عين الحرمان، فكيف يمكن لشخص أن يتلقف عباراته العذبة البيان، وجزالة أسلوبه، وسداد فكره، وقدرته على التحليل، وجرأته في النقد، غزارة علمه، وطهارة ضميره، وأن يسمع مايموج في عباراته من خشية المعاد، وشوق إلى اللقاء، وما يظهر من بغض شديد لمختلف العلماء العاطلين، والفقهاء السطحيين، والصوفية الجشمين التائهين. فيرى كل هذا ويدركه ولا يأبه له، ويبقى على حاله. لقد كان كلامه يخرج من القلب ليدخل إلى القلب، وكانت أفكاره تسري في الصدور كالنسيم، وتشع كالنور من النوافذ، وكملاك يغلب على خيال الخلائق، وكان سبب هذه العظمة صغر الدنيا في عينيه[١].

لقد كان في اوج النعمة والشهرة حينما طرق الهاتف الرباني في ثوب وسوسة تنقد قلبه الكبير، فصغرت الدنيا في عينيه، واضطرم في نفسه عطش مبارك، فلبّى داعي الحق صادقاً، وأسلم قلبه إلى مسخر الأرواح، وعزف عن مجالسة الأمراء والأعيان، والشهرة في دار الاسلام، والحب عند السلطان، والتدريس في النظامية. ونفض يديه من الأوهام طلباً لليقين، وانقطع عن ملذّات الدنيا ومتعها، ومال إلى الخلوة والعزلة، وأسلم نفسه للتفكير والنظر، وفتح نافذة قلبه لنفحات رحمة الرحمن المنعشة للروح، واغتسل بماء الرياضة، ولبس ثوب الاملاق، وحبس النفس، وعزز الهوى، وأطاح برأس الطمع، وسن حجر القلب بألماس ماء العين شوقاً منه للمحبوب، وكابد الجوع والصمت والسهر، وقضى الأيام

بالآلام حتى أحرق أدران النفس بنار المجاهدة والمراقبة، واطمأنت شمس القلب من كسوف الهوى، وحلت عيسى المعرفة في أحضان روحه، وأضيء مصباح نفسه بزيت عشق الحق ونار جذبته، وخرج من الخلوة كالكوكب الدريّ، وعلى رأسه تاج من «كرّمنا» وعليه خلعة من «عبادي» فأطلق لسانه في إرشاد العباد، وبادر إلى تأليف «إحياء علوم الدين».

وجرّد سيف النقمة على الفقهاء غير المتقين الذين اقتصروا على الظواهر، وغرقوا في قشور الدين، واقتنعوا بالافتاء بدل التفقه، واتّخذوا من العلم بالحلال والحرام سلماً للرقي في الدنيا والتقرب من السلاطين، وسكتوا عن لب المعلوف وخواطر الباطن، وعن سر الطهارة التي هي طهارة السر، ونسوا الشريعة العطرة، ومضمون الوحي المثير الذي هو التقوى والإخلاص والمحبة، وأهملوا آفات النفس، وتمسكوا بالحيل وباعوا بمكرهم أحكام الشريعة بثمن بخس، واعتبروا الخلافيات مثالاً أعلى للعلوم الدينية[٢].

وحمل على الفلاسفة الضالين الذين أحلوا أنفسهم محل الأنبياء، ودنسوا الشريعة بآراء الغرباء، ووضعوا قفل أسطورة أرسطو على باب أفضل الأمم، ونقش أفلاطون المستهلك رمزاً لأحسن النحل[٣]، وأضرموا نيران الشك في بيدر يقين الخلائق، وفضلوا حكم العقل على أحكام الشريعة لغربتهم عن حواس الأنبياء.

وذمّ علماء الكلام الذين يعقدون مجالس المناظرة، ويلجؤون إلى أنواع الحيل والفنون لطعن الخصوم والاستخفاف بهم، ويجعلون همهم ترقيع ثوب الدين، وأثوابهم مدنسة بالرياء والكبر والحسد، ويرون أن الاستماع إلى أقاويلهم الماحقة للايمان شرط للوصول إليه، وأضاعوا أعمارهم في مجادلة الخصوم دون أن يبادروا ولو لحظة إلى الجدال مع أنفسهم، وكم يتحملون من نَصَب ويظهرون من فضل في تتبع عيون الآخرين، لكنهم يتسامحون ويغفلون في الكشف عن عيوبهم، ويقضون أعمارهم في حل عقد واهية دون أن يلحظوا عقدة وجودهم[٤].

وصرخ في وجه الوعاظ الذين يذمون الرياء وهم مراؤون، ويتحدثون عن الاخلاص وهم منه عاطلون، ويميلون في كلامهم إلى السجع والوزن ليشنف الآذان ويأسر القلوب، ويستشهدون بأشعار الفراق والوصال لبعث النشاط والطرب لدى المخاطبين. ويوردون الكلام المتشابه والشطح وطامات الصوفية ليتظاهروا بالتصوف، لايدعون الناس إلى الله بل يدعونهم إلى أنفسهم، ويتحدّثون عن الأنس بالله، لكنهم لايتحملون الخلوة لحظة واحدة، ويتحدثون عن آفات الشهرة وهم لايتحملون إعراض الناس وقلّة المريدين وهم مغرمون باقبال الناس عليهم وتكريمهم، يعرفون الدواء جيداً ويصفونه، لكنّهم لايصفون المراهم على جراحاتهم النفسية الخفية. هؤلاء هم شياطين الإنس وأباليس البشر، وأكلة اللحوم البشرية، ينفثون أنفاسهم السامة كريح الخريف في غرسات الروح الطرية[٥].

وأزاح الستار عن مدعي الصوفية الذين سقطوا في حبائل مختلف أنواع الغرور، وهم يقلدون المتصوّفة في زيهم وهيأتهم، يُطرقون برؤوسهم، ويتأوهون بأصواتهم العالية، ويتحدثون خافتين، ويحملون السجادة على أكتافهم، ويحضرون مجالس الرقص والسماع، ويرددون الأوراد، ويلبسون الصوف، ويحملون المسابح، ويزورون المشايخ، ويتفاخرون بالرواية عنهم، ويقضون حياتهم في الخانقاهات عاطلين باطلين، ويكسلون عن طلب الحلال، وينظرون إلى الفقهاء بعين السخرية والإعراض، ويقلدون في رصف الألفاظ الموزونة المنمّقة، ويتخذون من كلام أرباب القلوب وسيلة للشهرة والرياء، ويدّعون الوصال واللّقاء والفناء، وشرٌ من هذا طائفة لانصيب لها من تألق الروح وصفاء الإيمان طووا بساط الشرع، وطلّقوا الحلال والحرام، وسقطوا في حبائل الإباحية، وزعموا أنّ انهماكهم في الإشتغال بأحوال القلب والبحث عن أسرار الباطن جعلهم غافلين عن أعمال الجوارح، يعتقدن باطلاً أنهم لماهم فيه من كمال القدرة وعلو المرتبة لايمكن لأي رجس من الآثام أن يدنس ساحتهم، ولا لأي حرام أن يلوث صفاءهم، ويرون أنهم في غنى عن التهذيب والتطهير لايأبهون، من تصوّرهم السقيم، لغلبة الغضب والشهوة. فليس عجيباً وهم يملكون هذه المواهب من الجهل والرعونة أن يقبلوا أحياناً هبات السلاطين، وأن يضربوا في البادية بلا صاحب ولا قوت بإسم التوكل، ويلقوا بأنفسهم إلى التهلكة. وإذا اتفق أن حدث لسالك في بداية الطريق الطوالع واللوائح، حَسِب

مغروراً كالأطفال أنها نهاية الوصال وتبدت في مذاقه حلوى لذيذة تبهج الفؤاد، وربما يسبق لسانه في هذا الدهشة فيقول: أنا الحق، ويرى الله في بردته[6]. فياللعجب «العلوم الدينية كلّها قد فسدت وضعفت إلاّ التصوّف، فإنّه قد انمحق بالكلّية وبطل»[7].

إنّ تبحّر الغزالي في العلوم الدينية، وماضيه المشرق في التدريس والمناظرة، وصفاء زلال حديثه، واستغنائه عن الأمراء والسلاطين، وشجاعته في فضح عيوب المشرعين، حبّه الخالص وشوقه الحار لجلاء جوهر الدين، والترغيب بتزكية النفس والزهد والقناعة في الحظوظ الدنيوية، والخوف من العاقبة، وتفقد أحوال القلب، جعل كلامه راسخاً جذاباً جمع حوله الكثير من الأنصار إلى جانب قلّة من المعارضين، وظل صوته كصدى حديث الحب خالداً في هذا الفلك الدوّار، والذين جاءوا بعده كلّ حسب حاله وموهبته طرح قبساً من أنوار أقواله وأحواله.

لقد كان الصوفي العاشق الولهان في القرن السابع الإمام مولانا جلال الدين والذي «كانت يتدلّى من كل شعرة في رأسه مائة ألف شمس التبريزي»[8] متلاحماً مع أبي حامد الغزالي في سرّ الضمير، ينظر إليه من نافذة قلبه، ويجني الثمار من أغصان تلك الشجرة الطيبة، لم يكن التشابه بين هاتين الروحين بالقليل، فكلاهما كانا من كبار علماء زمانهما، وكلاهما استقطبا الكثير من المتعلمين بما كانا يتمتعان به من نوادر الحديث، وقدرة في الكلام، وبسطة في العلم، فازدهر المنبر بوجودهما، وكلاهما شغلا منصب الإفتاء والتدريس، وخطيا بحب وتكريم الرؤساء والأمراء.

في عام ٤٨٨ هـ وبعد شهور من الصراع والالتهاب الروحي فرّ أبو حامد، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، من بغداد الساحرة الفاتنة، مقر الخلافة، ومربع المتكلمين، ومحفل الأدباء، عازماً في الظاهر لأداء فريضة الحج، وقاصداً في الباطن العزلة، ملتمساً طريق الشام، تاركاً عظمة وغرور تلك الديار والتجارة بالعلم لصبية العراق[9]، وترك هوى ليلى وسعدي وعاد إلى مصحوب أول منزل[10]، واسترجع الحق المغصوب من الجسد، وذهب إلى جامع دمشق وأقام مدة طويلة في مناره، واختار العزلة يتأمل في أحواله الماضية: منشغلاً، يتدارك مافاته.

كما كان جلال الدين في الثامنة والثلاثين حينما ذرقرن شمس عام ٦٤٢ هـ في تبريز، ففقدت لياليه نهاراً، وأصبح ذلك الجليس الجليل في المحراب، لعبة أطفال الحارة[11]، وذلك المؤدب العالم عاشقاً ولهاناً[12]، ولم يعد الغزالي منذ ذلك الوقت، ذلك الغزالي الأول، ولا المولوي، ذلك المولوي الأول، فقد ألبسا مادتهما الأولى صورة جديدة، وأضفيا على شريعة المسلمين وعرفانهم صورة بكراً.

نحن نعلم أنّ أحد مستوري قباب الغيرة باسم تبريزي، أخذ بلباب المولوي، ولكننا لاندري أيّ فاتن سخّر قلب الغزالي، فإشاراته لاتومى إلى أكثر من أنّه كان في بداية السلوك يشاور بعض العرفاء[13]، ويروي بعضهم أن تحذيرات أخيه أحمد الشديدة دعت إلى زهده وعزلته[14]، ولاجرم أنهم كانوا يعتقدون بأن ذلك التطور العجيب نشأ عن ضربة فجائية، وقد زاد من التشابه بين هذين العالمين الكبيرين ما كانا فيه من الرياضيات الطويلة، والإعراض عن الطيّبات، والتقيّد بآداب الشريعة وأصول الأشعرية، واستباحة السماع، والقيام في الليل، وقلّة الطعام والمنام.

لقد كان جلال الدين زعيم العشّاق والمفتونين، ومؤجّج نار المحبّة في الأفكار[15]، ومعلّم العشق الشديد الحارق للوساوس[16]، ومعلّم الحبّ المجنون المعارض للحكمة[17]، وكان كلامه كله عن الوصال والمحبوب[18]، وصدره حانة لجميع العالم[19]، يفتي بإراقة دماء الحزن[20]، وقطع رأس الهمّ[21]، لكثرة طربه وسروره[22]، ويحطّم باب السجن الأبدي في حالة السكر والعربدة والصياح[23]، ولايستطيع أن يكون مؤدّباً في سكره هذا[24]، ويكاد أن يمزق النطق جسمه عند وصف خال الحبيب[25]، لذلك كلّه كانت بينه وبين أبي حامد فراسخ طويلة، فقد ظلّ أبو حامد سنين طوالاً يصارع النفس ويغرق في الحزن والندم، ويهرب من آفة نفسية إلى أخرى، وكانت خشيته من خداع النفس تجعل كأسه مرة المذاق، ونفسه مليئة من خوف المحجوب عن الحق[26]، ويؤلم القلق والاضطراب قلبه الحساس، ويموج حديثه بالخوف والحذر والانتباه[27] بدل الجرأة والعشق والوصال، ويفكر دائماً بعجز النفس عن الغلبة على مكايد الشيطان ولايرى طريقاً للغلبة على وساوس النفس غير طريق المجاهدة والصراع الدائم

الذي ينهك الروح[٢٨]، ويكتفي بعلم المعاملة، ولايأذن للكتابة عن أسرار علم المكاشـفة[٢٩]. وينـظر إلى آفـات النفس وجـراحـاتهـا كالطبيب المدقق، ثم يصف الدواء، ويحل عقد الـرذائل والفضائل عقدة عقدة ويفصل لحمتها عن سداها، وكان يغضب للرذائل، ويزجر ويعاتب بالملاطفة وتجربة المعلم، ويصلح كل شيء بهدوء وأناة، ويدعـو إلى اجتنـاب إثـارة العـواطف، ويعتبر الصّخب والحدة والانفعال من شأن أهل الدنيا[٣٠]، ولا يغامر في حديثه عن الحب، ويصب وقاره وهدوءه في الكلمات، ويبرد نار الحديث بماء الأدب.

ولم يكن لتلك الصرخات وثورات الحب وعربدات السـكر، وحارقات العافية، أثر في كلامه، وإذا ما استثنينا بعض الحالات النادرة التي يتم فيها لحنه عن أيام مناظراته الكلامية، وتفوح منهـا رائحـة تحقـير الخصم والاستخفاف بالمنافس[٣١] فإننا نشاهد فيه بركاناً خمد اضطرامه وثورته، يسيل من خارجه رغم نيران داخله ماء عذب سلسبيل وكأنّه الكوثر العذب.

ولاشكّ في أنّ المولوي لم يأخذ بحظ من المعارف الإسلامية إلاّ وكان نصيب الغزالي منه أوفر، فهو باعتراف المولوي «أعلم العالَمين». ولاشكّ أيضاً في أنّ المولوي كما سنورد اقتبس بعض عناصر العلم العرفاني والأخلاقي العالي منه، أو كانا مترافقين فيها، لكن الذي يميز المولوي عن الغزالي وأمثاله من العرفاء، نفـسه المتـأججـه، وكـلامه الملتهب، قلمه المحرق، ولم يكن المولوي تاري الصفة فقط، بل كان في معالجته لايعرف دواء مؤثـراً كنار الحب، وإذا كان الغزالي يداوي بالماء، فقد كان المولوي يصنع من النار دواءً، وكانت خلعة الروح الوسخة التي يريد الغـزالي أن يطهرها بماء الورع، يعرضها المولوي لنار المحبّـة لتحـترق أوسـاخها وتمتاز بالصفاء والنقاء[٣٢]، وكان عفـريت الوسوسة الذي يريد الغزالي أن يقيّده بقيد الذِّكر وسـواعد المجاهدة[٣٣]، يقطع المولوي رأسه بساطور المحبّة، وكانت عقدة الجبر والقدر التي يريد الغزالي أن يحلها بأنامل الفكر والمنطق[٣٤]، يحلّها المولوي باشارات المحبّة الساحرة، لتتجاوز عن أنّ ألم الحبّ لم يكن يعطي المولوي مجالاً للبحث والنقاش الكلاميّ، وإن كان ينهج نهج الغزالي في طرد الفلاسفة والمتكلمـين، ويرى همسـات شكوك الفلاسفة منافية للايمان الخـالص، ويفضـل البـلاهة على الفلسـفة[٣٧]، لكنّه لم يكن ليدخل في جدال فلسفي معهم، ولاهتم بسقي الظمآى، ومع أنّه كان يفضّل الرّبابة على كل ملذّات الدنيا، ويبيح السماع[٣٨]، (وقد دفع هذا المتدينين للطّعن فيه) وكان يلحح بعدم وجوب الالتـزام الكـامـل بالفـرائض[٣٩]، فإنّه لم ينزع إلى مجادلة الفقهاء، ولم يصرح بذم طلاب الدنيا والجاه منهم، ولم يستصغر كالغزالي صنعتهم مقابل العلم بآفات النفس، وإن كان يجعل الهنـدسـة والفلسـفة وعلم النجوم والطبّ، ازاء طريق الحق ومنازل أرباب القلوب، كعلوم بناء الإسطبل، ولكنّه لم يحمل على الفقه[٤٠].

إن الاختلاف بين الغزالي والمولوي من هذا النوع، وسنورد نماذج أخرى ليزداد هذا المعنى وضوحاً؛ ولكنّ المواضع التي اقتبس وتعلم منها المولوي من الغزالي كثيرة أيضاً تجعل القارئ يعتقـد بأنّ آلام هاتـين الروحين متماثلة ومتشابهة جدّاً، وكأن صورة الغزالي انطبعت في قلب المولوي الذكي لمتحدثه عن حب المعبود وسرّه، ولابدّ من أن الذين شربوا شراب المعرفة طهوراً من دن المثنوي، تناولوا الكأس سرّاً من يد الغزالي، ولو أنّ الغزالي كان يجلس صامتاً، فقد كان يشع كالقمر، ويبعث نور الإشراق في المشتاقين؛ فكيف إذا نطق لايشرق على مرآة كالمولوي ولايقرأ الأسرار في أُذنيه[٤١].

كان الغزالي عالماً عاشقاً، وكان المولوي عاشقاً عالماً، علم كلّيّ بعنان وحبّ فردي بلا عنان. كان كلام الغزالي عبارات كلّيّة في إحياء الدين، وكان شعر المولوي عبارات فردية عن فوران الـدم. كان ذاك كالوجود الذهبي وكان هذا كالوجود الخارجي، كان ذاك كالمطر ينهلّ على الجميع، وكان هذا كالنار تحرق القابلين فقط، سلام على الاثنين، لايكتمل أحدهما إلاّ بالآخر.

نحن لانتـطرّق في هذا المقال إلى القصص والتشبيهات والأحـاديث النبـوية التي أخذها جلال الدين من كتب أبي حامد والتي استخرجت وتم التحقيق حولها في مكانها جيّداً[٤٢]، ولانشير إلى آراء وتعاليم الصوفية العامة التي وردت في جميع مصـادر التصـوفة الأصلية والتعليمية، والتي لايتيسر دخول طريق السلوك والتخلّق بأخـلاق الصـوفية، والتأدب بآداب المشـايخ دون الاطّـلاع عليها، كالتوبة والاخلاص والشكر والزهد والفقر و... فكلا الغزالي والمولوي تكلما في هذه المسائل

كثيراً مما يدل على أنهما جرعا من عين واحدة، ونحن سنبادر على الأغلب إلى ذكر نماذج من أبيات مثنوي تبدو أكثر تأثراً من غيرها، وتحتوي على الأفكار الخاصة بالغزالي، أو تضمنت تعابير وكلمات له. سنشير إلى بعض كنايات المولوي التي يقصد بها الغزالي مباشرة، وإلى بعض الاختلافات بين هذين العالمين في الدرك والتفسير، ورغم قدرتنا على توسيع مجال القياس هذا، فقد اكتفينا بالمثنوي عن المولوي وبإحياء علوم الدين عن الغزالي، متمثّلين بأنّ «كلّ الصيد في جوف الفرا»، ولأنّ لبّ وعصارة وجميع إنجازات هذين العالمين الكبيرين، وعلومهما المعنوية والعرفانية مودعة في هذين السفرين المقدسين.

(١)

لقد أورد الغزالي ثلاثة أدلّة رئيسية على تفسير وتعليل ذمّ علم النجوم، الأول لايتعلق بعلم النجوم، بل هو بصورة عامة يدور حول البحث عن السبب ومعرفته، والذي هو نتاج بحوث البشر العقلية والتجريبية (ومنها علم النجوم)، ويرى أنه يتضمن خطراً خفيّاً هو أن قصر النظر على الأسباب والتوغل في كشف الروابط والوسائط يمنع الذهن عن النظر إلى مسبّب الأسباب، ويقوّي في النفوس الضعيفة الناقصة التوهّم بأنّ الخيوط هي كل شيء، ولايوجد من يمسك برؤوس الخيوط هذه ويوجهها:

«فإنّ الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم والراسخ هو الذي يطلع على أنّ الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره سبحانه وتعالى... فأكثر نظر الخلق مقصورٌ على الأسباب القريبة السّافلة، مقطوع من الترقي إلى مسبّب الأسباب...»[43].

وللمولوي:

آن مبدل بين وسايط را بمان
كز وسايط دوركردى زاصل آن
واسطه هر جا فزون شد وصل جست
واسطه كم، ذوق وصل افزونتراست
از سبب داني شود كم حيرتت
حيرتى كه ره دهد در حضرتت[44]

جسم بند خلق جز اسباب نيست
هر كه لرزد بر سبب زاصحاب نيست[45]
اين سببها بر نظرها برده هاست
كه نه هر ديدار صنعش را سزاست[46]

ونحن نرى أنّ كلام المولوي أكثر غناء في المضمون، فالغزالي ينبهنا إلى نوع من الخطأ الفكري، ويحذرنا من السذاجة، أما المولوي فقد كان ينظر إلى الحبيب في كل حال نظرة العاشق الولهان (الاناظرة العالم) ولذلك كان يعتبر أن معرفة السبب تؤدي إلى الابتعاد عن الحبيب والبحث عن الوسائط والخوض في الكثرة والحرمان من الوصال. والذي يطلبه العشاق ليس العلم الصادق، بل الاتحاد بالمعلوم والمعشوق. ولذلك فإن كل علم، مهما كان، هو في النهاية نوع من الحجاب ولابدّ من خرقه.

ويذكّرنا مايورده الغزالي في مواصلته لهذا البحث، ويعتبر فيه العلم غير النافع من العلوم المذمومة، وبعض المعارف عقيمة ومضرة ويقول: «فيجب كف الناس عن البحث عنها، وردّهم إلى مانطق به الشرع... فكم من شخص خاض في العلوم واستضرّبها، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين ممّا صار إليه»[47]. يذكّرنا بأبيات المولوي التالية:

اى بسا علم و ذكاوات و فطن
كشته رهرو را جو غول و راهزن[48]
جون مبارك نيست بر تو اين علوم
خويش را گول كن و بگذر زشوم
اكثر اهل الجنة البله اى پسر
احمقيم بس مبارك احمقى است
كه دلم باسرگ و جانم متّقى است
گر تو خواهى كت شقاوت كم شود
جهد كن تاز تو اين حكمت رود
عقل قربان كن به پيش مصطفى
حسبى اللّه گو كه اللّه كفى[49]

(٢)

للغزالي:

«... ظنّ بعض الضعفاء أنّ الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أنّ وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء... إذ النّهاية تردّ الأعمال إلى الباطن، وتسكّن

الجوارح إلّا عن رواتب الفرائض فيتراءى للنّاظرين أنها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذّكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام. وتشبّه الضعيف بالقويّ فيايرى من ظاهره أنّه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسةً يسيرةً في كوز ماء ويتعلّل بأنّ أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولايدري المسكين ان البحر بقوّته يُحيل النجاسةَ ماءً فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته...»[٥٠]

للمولوي:

صاحب دل را ندارد آن زيان
گر خورد آن زهر قاتل را عيان
گفت پيغمبر كه اى طالب جرى
هان مكن باهيچ مطلوبى مرى
در تو نمرودى است آتش در مرو
رفت خواهى اول ابراهيم شو
كامل گر خاك گيرد زر شود
ناقص ارزر بُرد خاكستر شود
اى مرى كرده پياده باسوار
سر نخواهى برد اكنون پاى دار[٥١]
گر ولى زهرى خورد نوشى شود
ورخورد طالب سيه هوشى شود[٥٢]
اين چنين بهتان منه بر اهل حق
كاين خيال تست بر گردان ورق
اين نباشد وربود اى مرغ خاك
بحر قلزم را زمُردارى چه باك؟
نيست دون القلّتين و حوض خُرد
كش تواند قطره اى از كاربرد
آتش ابراهيم را نبود زيان
هر كه نمرودى است گوميى ترس از آن
حوض بادريا اگر پهلو زند
خويش را ازبيخ هستى بركند
نيست بحرى كوكران دارد كه تا
تيره گردد او ز مردار شما[٥٣]
هان وهان ترك حسد كن باشهان
ورنه ابليسى شوى اندر جهان
كو اگر زهرى خورد شهدى شود
تو اگر شهدى خورى زهرى بود
تو رعيّت باش چون سلطان نه اى
خودمران چون مردكشتيبان نه اى
چون نه اى كامل دكان تنها مگير
دستخوش مى باش تاگردى خمير[٥٤]
چونكه در تو مى شود لقمه گهر
تن مزن چندانكه بتوانى بخور
چونكه در معده شود پاكت پليد
قفل نه بر حلق و پنهان كن كليد
هر كه در وى لقمه شد نور جلال
هرچه خواهد گوبخور او را حلال[٥٥]

ويبدو أنّ المولوي يتجاوز الغزالي تجاوزاً كبيراً، ورغم أنه يحذر الضعيف ألّا يظن نفسه كالقوي وألّا يقتدي به في مساهلاته مغروراً، ولايعاند القادة وألّا يقارن بين عمل الأذكياء وعمله، فإن مايستشم من أشعاره أنه يحلل للشيخ الكامل نوعاً من الإباحية، ويرتضي منه كل مايفعل ويترك، ولايبيح الظّنّ به ومهاجمته. اما الغزالي فيرى أنّ على المريد والمراد مراعاة الفرائض في جميع الأحوال والمقامات، ولايبيح له بحال من الأحوال بيع الفقه للتصوف رخيصاً، والإفتاء بإسقاط الفرائض، ومع ذلك فإنّ أشخاصاً كابن الجوزي اتهموا الغزالي أحياناً بهذا البيع الرخيص.

(٢)

للغزالي:

«فالعلم كالسّيف وصلاحه للخير كصلاح السّيف للغزو، ولذلك لايرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق...»[٥٦].

وأيضاً:

«ويقرّب من تقرّب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام، تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسّفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور... وليت شعري ماجوابه عمن وهب سيفاً من قاطع طريقٍ وأعدّ له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده ويقول إنّما اردتُ البذل والسخاء.... والعلم سلاحٌ يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاونُ به أعداء الله عزّ وجلّ وهو الهوى»[٥٧].

للمولوي:

واستان از دست دیوانه سلاح
تا ازتو راضي شود عدل و صلاح
چون سلاحش هست وعقلش نی، ببند
دست او را، ورنه آرد صد گزند
بدگهر را علم و فن آموختن
دادن تیغ است دست راهزن
تیغ دادن در کف زنگی مست
به که آید علم ناکس را به دست
علم و مال و منصب و جاه و قران
فتنه آرد در کف بدگوهران[58]

للغزالي:

«... وهذه حقائق ظاهرة للنّاظر بنور البصيرة، ثقيلة على من يستر وجهُ السّماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبّط في مثل هذه الآيات... ويعتقد فيها التّهافت. ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدّار فيقول ماهذه الأواني لاتُرفَع من الطّريق وترد إلى مواضعها؟ فيقال له إنها في مواضعها وإنّما الخلل في بصرك...»[59].

للمولوي:

ما ندانستیم ما را عفو کن
پس پراکنده که رفت از ما سخن
ما که کورانه عصاها می زنیم
لاجرم قندیلها را بشکنیم
ما چو کرّان ناشنیده یك خطاب
هرزه گویان از قیاس خود جواب
ما زموسی پند نگرفتیم کو
گشت از انکار خضری زرد رو[60]

(٥)

للغزالي:

«بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق اللّه تعالى في حقّهم كلّ ذرّة في السموات والأرض بقدرته الّتي نطق كلّ شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لِلّه تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسانٍ ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لايسمعه الذين هم عن السّمع لمعزولون، ولست أعني به السمع الظاهر الذي لايجاوز بالأصوات، فإنّ الحمار شريك فيه، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنّما أُريد به سمعاً يُدرك به كلامٌ ليس بحرف ولاصوت ولا هو عربي ولا عجمي...»[61].

وأيضاً:

«وما من ذرّة في السموات والأرض إلاّ ولها أنواع شاهدات لِلّه تعالى بالوحدانية هي توحيدها، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدّس هي تسبيحها ولكن لايفقهون تسبيحها لأنّهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان القال إلى فصاحة لسان الحال...»[62].

وأيضاً:

«الخامس أن يعبّر بلسان المقال عن لسان الحال... ومن هذا قوله تعالى وإنْ من شيءٍ إلاّ يسبّح بحمده. فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدّر للجمادات حياةً وعقلاً ونطقاً بصوتٍ وحرفٍ حتى يقول سبحان اللّه ليتحقق تسبيحه، والبصير يعلم أنّه ما أُريد به نطقُ اللسان بل كونه مسبّحاً بوجوده ومقدّساً بذاته وشاهداً بوحدانية اللّه سبحانه... كما يقالُ هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لابمعنى إنّها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال...»[63].

لقد كان نقد مولوي لمثل هذه التأويلات وتعريضه بها قاسياً وصريحاً ومؤذياً، فهل يمكن القول إنّه كان يقصد به الغزالي مباشرة؟:

ما سمیعیم و بصیریم و خوشیم
با شما نامحرمان ما خامشیم
چون شما سوی جمادی می روید
محرم جان جمادان چون شوید؟
از جمادی عالم جانها روید
غلغل اجزای عالم بشنوید
فاش تسبیح جمادات آیدت
وسوسهٔ تأویلها نربایدت
چون ندارد جان تو قندیلها
بهر بینش کرده ای تأویلها
که غَرَض تسبیح ظاهر کی بود
دعوی دیدن خیال غیّ بود
بل که هر بیننده را دیدار آن
وقت عبرت می کند تسبیح خوان
پس چو از تسبیح یادت می دهد
آن دلالت همچو گفتن می بود
این بود تأویل اهل اعتزال
و آن آن کس کو ندارد نور حال

چون زحش بیرون نباشد آدمی
باشد از تصویر غیبی اعجمی(٦٤)

(٦)

للغزالي:

«...وأمّا الحركة فخلقٌ للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنّها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبةٌ إلى صفةٍ أخرى تسمّى قدرة فتسمّى باعتبار تلك النسبة كسباً وكيف يكون جبراً محضاً وهو بالضرورة يُدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرّعدة الضروريه»(٦٥).

للمولوي:

کرد حق وکرد ما هر دو ببین
کرد ما را هست دان، پیداست این
گر نباشد فعل خلق اندرمیان
پس مگو کس را چرا کردی چنان
یك مثال ای دل پی فرقی بیار
تا بدانی جبر را از اختیار
دست کان لرزان بود از ارتعاش
وان که دستی را تو لرزانی زجاش
هردو جنبش آفریدهٔ حق شناس
لیك نتوان کرد این با آن قیاس
زان پشیمانی که لرزانیدیش
مرتعش را کی پشیمان دیدیش؟(٦٦)

(٧)

للغزالي:

«...ولاتنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلاّ بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله. فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبّة. والذّكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبّة ولكن المحبّة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم...»(٦٧).

وأيضاً:

«فإن أُحبّ العارف ذاته. ووجود ذاته مستفادٌ من غيره. فبالضرورة يحبّ المفيدالمُديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيّوماً بنفسه ومقوّماً لغيره فإن كان لايحبّه فهو لجهله بنفسه وبربّه والمحبّة ثمرة المعرفة. فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوّتها...»(٦٨).

وأيضاً:

«.. وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليّة الحقّ ويتزيّن بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبّة بالضرورة...»(٦٩).

للمولوي:

از محبت تلخها شیرین شود
از محبت مسها زرّین شود
از محبت دردها صافی شود
از محبت دردها شافی شود
از محبت مرده زنده می کنند
از محبت شاه بنده می کنند
این محبت هم نتیجهٔ دانش است
کی گزافه بر چنین تختی نشست
دانش ناقص کجا این عشق زاد؟
عشق زاید ناقص، اما بر جماد(٧٠)

(٨)

«ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الالهيّة على صفحات الجمادات لم يَطُل سفره بالبدن، بل يستقرّ في موضع ويفرغ قلبه للتمتّع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرّات. فما له وللتّردد في الفلوات وله غنيةٌ في ملكوت السّموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخّرات وهي إلى ابصار ذوي البصائر مسافرات... فمن الغرائب أن يدأب في الطّواف بآحاد المساجد من أُمرت الكعبةُ أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السّماء»(٧١).

للمولوي:

مارگیر از بهر حیرانی خلق
مارگیرد، اینت نادانی خلق
آدمی کوهی ست، چون مفتون شود؟
کوه اندر مار حیران چون شود؟
خویشتن نشناخت مسکین آدمی
از فزونی آمد و شد در کمی
خویشتن را آدمی ارزان فروخت
بود اطلس، خویش بر دلقی بدوخت
صد هزاران مار و کُه حیران اوست
او چرا حیران شدست و ماردوست؟(٧٢)

(٩)

للغزالي:

«... فإذن في الخلوة أنس بذكر الله.. ولذلك قال بعض الحكماء: إنّما يستوحش الانسان من نفسه لخلوّ ذاته عن الفضيلة، فيُكثر حينئذٍ ملاقاةَ النّاس ويُطرد الوحشةَ عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستئناس من علامات الافلاس...»[٧٣].

وأيضاً:

«ويدّعي الانسُ بالله فمتى طابت له الخلوة؟ ومتى استوحش من مشاهدة الخلق؟ لا بَل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى، فهل رأيت مُحبّاً يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره؟...»[٧٤].

للمولوي:

ای تو در پیکار خود را باخته
دیگران را تو زخود نشناخته
تو به هر صورت که آیی بیستی
که منم این والله آن تو نیستی
یك زمان تنها بمانی تو زخلق
در غم و اندیشه مانی تا به حلق
این توکی باشی که تو آن اوحدی
که خوش و زیبا و سرمست خودی
مرغ خویشی صید خویشی دام خویش
صدر خویشی فرش خویشی بام خویش[٧٥]

(١٠)

للغزالي:

«وكلّ من لم يجد لذّة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذّة النظر في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة مالم يصحبه من الدّنيا ولايحصد أحدٌ إلاّ مازرع ولايُحشَر المرء إلاّ على مامات عليه ولايموت إلاّ على ماعاش عليه...»[٧٦].

وأيضاً:

«... وجميع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته..... ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشرّ عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنّه يموت المرء على ما عاش عليه ويُحشَر على مامات عليه..»[٧٧].

للمولوي:

الحذر ای مرگ بینان بارِعُوا
العَجَل ای حشر بینان سارِعُوا
هر که یوسف دید، جان کردش فدا
هر که گرگش دید برگشت از هُدَی
مرگ هر یك ای پسر همرنگ اوست
پیش دشمن دشمن و بر دوست دوست
پیش ترك آیینه را خوش رنگی است
پیش زنگی آینه هم زنگی است
آنکه می ترسی زمرگ اندر فرار
آن زخود ترسانی، ای جان هوشدار!
روی زشت توست نه رخسار مرگ
جان تو همچون درخت و مرگ، برگ
از تو رُسته است ارنکوی است اربدست
ناخوش وخوش، هر ضمیرت از خودست
گر به خاری خسته ای خود کِشته ای
ورحریر و قز دَری، خود رِشته ای[٧٨]

(١١)

للغزالي:

«وفي التوصّل إلى الولد قربةٌ من أربعة أوجه... أمّا الوجه الأول فهو أدقّ الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير... وبيانه أنّ السّيّد إذا سلّم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيّأ له أرضاً مُهيّأة للحراثة وكان العبدُ قادراً على الحراثة ووكّل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطّل آلة الحرث... كان مستحقاً للمقت... فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن مراد خالقها..»[٧٩].

للمولوي:

پای داری چون کنی خود را تو لنگ؟
دست داری، چون کنی پنهان تو چنگ؟
خواجه چون بیل به دست بنده داد
بی زبان معلوم شد اورا مراد
دست همچون بیل اشارتهای اوست
آخر اندیشی عبارتهای اوست
چون اشارتهاش را برجان نهی
در وفای آن اشارت جان دهی[٨٠]

(١٢)

للغزالي:

«والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيويّة وأخروية. فالدنيويّة كعلم الطبّ والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحِرَف والصّناعات. والأُخروية، كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله.. وهما علمان متنافيان أعني أنّ من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمّق فيه قصرت بصيرتُه عن الآخر على أكثر... ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم إنّ أكثر أهل الجنّة البُله أي البله في أمور الدنيا»[81].

وأيضاً:

«... وإنّما العلم الحقيقيّ مايُعرف به العبدُ ربَّه ونفسه وخَطَر أمره في لقاء الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكِبر والأمن.. فأمّا ماوراء ذلك كعلم الطبّ والحساب واللّغة والشّعر والنّحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات. فاذا تجرّد الانسانُ لها حتى امتلأ منها، امتلأ بها كِبراً ونفاقاً. وهذه بأن تُسمّى صناعات أولى من أن تُسمّى علوماً. بل العلمُ هو معرفة العبودية والربوبيّة وطريقُ العبادة وهذه تورث التواضعَ غالباً»[82].

وأيضاً:

«... ولكنّ الأكياس وأهل الحزم يغترّوا بهذه وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتُهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرّنا هلاكهم... ثم نرى أنّ المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصّب والخصومة تشدداً في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى..»[83].

لقد تبنّى المولوي أفكار الغزالي العلمية بصورة عامة (والتي تتضمّن تقديم معرفة النّفس على معرفة العالم، والاهتمام بحسن العاقبة والمآل، وعدم بيع العلم للدنيا، وعدم الغوص في المجالات الفقهية والكلامية التي لاطائل تحتها والتحسّر على النفس) وعكَسها بصورة متفرقة في الأبيات التالية:

جامه هاى زركشى را بافتن
دُرّها از قعر دريا يافتن
خُرده كاريهاى علم هندسه
يا نجوم و علم طبّ و فلسفه
كه تعلّق با همين دنيى ستش
ره به هفتم آسمان بر نيستش
اين همه علم بناى آخورست
كه عماد بود گاو و اشترست

بهر استبقاى حيوان چند روز
نام آن كردند اين گيجان رموز
علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را با دلش[84]

ولايخفى تعريض المولوي في الأبيات التالية بالفلاسفة والفقهاء والمنجّمين:

از پى اين عاقلان ذوفنون
گفت ايزد در نُبى: لايعلمون
هر يكى ترسان ز دزدى كسى
خويشتن را علم پندارد بسى
گويد او كه روزگارم مى برند
خود ندارد روزگار سودمند
گويد از كارم برآوردند خلق
غرق بيكاريست جانش تا به حلق
صد هزاران فصل داند از علوم
جان خود را مى نداند آن ظَلوم
داند او خاصيّت هر جوهرى
در بيان جوهر خود چون خرى
كه همى دانم يُجوز و لايَجوز
خود ندانى تو يَجوزى يا عَجوز
اين روا وان ناروا دانى وليك
تو روا يا ناروايى بين تو نيك
قيمت هر كاله مى دانى كه چيست
قيمت خود را ندانى احمقيست
سعدها و نحسها دانسته اى
ننگرى سعدى تو يا ناشسته اى
جان جمله علمها اين است اين
كه بدانى من كيم در يوم دين[85]
عقده را بگشاده گير اى منتهى
عقده سخت است بر كيسه تهى
در گشاد عقده ها گشتى تو پير
عقدهٔ چند دگر بگشاده گير
عقده اى كان بر گلوى ماست سخت
كه ندانى كه خسى يا نيك بخت
حلّ اين اشكال كن گر آدمى
خرج اين دم كن اگر صاحب دمى

حدّ اعيـان و عرض دانسـتـه گير

حدّ خـود را دان كزان نيـود گريـز[86]

وكأنّ المولوي حفظ أثناء نظم هذه الأبيات نصيحة الغزالي «المجانية» وعبّر عنها:

«والمستغرق عمره في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تحرّزها الزّاوية للحجّ، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحجّ أو ملابسي أركانه. فتأمّل هذا أوّلاً وأقبل النّصيحة مجّاناً ممّن قام عليه ذلك غالياً ولم يصل إليه الاّ بعد جهد جهيد وجرأة تامّة على مباينة الخلق العامّة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرّد الشهوة»[87].

ويتّفق المولوي كذلك مع الغزالي في ذم الفلاسفة والمتكلمين، وطريقتهم المشكلة التي تبعث الاضطراب في النفس، وتعلّم منه جيّداً - وهو الذي وصل إلى أعلى درجة المتكلّمين - أنّ هذه الصناعات ليست في حال من الأحوال طرق كسب الحقيقة واليقين، ومنتهى عملها أنّها تزيد الوسائط وتقصي الطريق، وتزيد من كدورة باطن المتكلم وغروره، حتى إنّ عدم فصل علم الكلام عن الفلسفة، واستعمال هذين الاصطلاحين مترادفين، يظهر بوضوح مدى تأثر المولوي بالغزالي في هذه المسألة المهمة. ويذكر الغزالي في كتاب احياء علوم الدين، العلوم التي تعلّمها فرض عيني وواجب كفائي على المسلمين، والعلوم المحمودة والمذمومة، ويشرحها، ثم يبين الدليل على فرضها، وحسنها وقبحها، لكنه لايذكر خلال ذلك علم الكلام والفلسفة، ثم يتساءل على لسان القارئ، عن السبب الذي دعاه إلى عدم ذكر هذين العلمين بين العلوم، ويجيب: «إنّ حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن والروايات المشتملة عليه، وماخرج عنها فهي من المجادلات والمشاغبات والبدع والترهات والهذيانات التي تزدريها الطباع وتمجها الأسماع. وأمّا الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة اجزاء: الحساب والهندسة، والمنطق، والإلهيات، والطبيعيات. امّا الحساب والهندسة مباحان، وجاء ذكرها بصورة مستقلة، والمنطق أيضاً هو جزء من علم الكلام، والإلهيات هو بحث عن ذات الله، سبحانه وتعالى، وصفاته، وهو داخل في الكلام أيضاً، والطبيعيات أيضاً بعضها مخالف للشرع والدين والحق، فهو جهل وليس علماً حتى تذكره في أقسام العلوم، وبعضها لايحتاج إليه»[88].

وبناء على هذا، فأينما يذكر الغزالي علم الكلام ويذم المتكلمين ويقدح بهم، يطعن في الفلاسفة بنفس القدر؛ ثمّ إنّه يفضّل البُلْه مقابل تلك التعقيدات والمهارات الفلسفية التي لاتنتهي إلاّ إلى التشيطنة والتطاول والسخرية والابتعاد عن الحق وهتك الحرمات. ولايعتبر العلم الذي يؤدي الى التضليل والتخبط أكثر من الكشف عن الحقائق وايضاحها، نافعاً وضرورياً إلاّ في حالات خاصة، وذلك باستعماله كسلاح لردع الأعداء فقط. ويحذّر دوما تعمق المتكلمين الذي يبدو علمياً في الظاهر، ويستخف به. وتبدو لهجة الغزالي في هذه الحالات هادئة نصوحة عطوفة يطمئن القارئ فيها إلى أنّ إنكاره هذا لاينبعث عن عداوة أو جهل، بل ينبع من تعمق الخبير. كما أنّ كلمات المولوي تبدو أيضاً مشحونة بهذا الردّ والاستخفاف وتلك الطُّمأنينة والهدوء. وبالاضافة إلى ذلك كلّه يؤيّد تفسير الغزالي للحديث النبوي الذي يعتبر البلاهة فيه بمعنى نفي التفلسف.

يقول الغزالي:

«... فقد يظن أنّ فائدته (الكلام) كشف الحقايق ومعرفتها على ماهي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعلّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدّث أو حشوي ربّما خطر ببالك أنّ الناس أعداء ماجهلوا فاسمع هذا ممّن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلّمين وجاوز ذلك إلى التعمّق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقّق أنّ الطريق إلى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدودٌ. ولعمري لاينفكّ الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الأمور ولكن على النّدور في أمور جليّة تكاد تفهم قبل التعمّق في صنعة الكلام...»[89].

ويقول أيضاً:

«... ربّما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً... والزهد والصّلاح لايكفي لدفع هذا الخطر بل لاينجي منه الاّ الاعتقاد الحقّ، والبُلْه بمعزل عن هذا الخطر، أعني الّذين امنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايماناً مجملاً راسخاً كالأعراب والسّوادية وسائر العوامّ الذين لم يخوضوا في البحث والنّظر ولم

يشرعوا في الكلام استقلالاً ولاصغو إلى أصناف المتكلّمين في تقليد أقاويلهم المختلفة. ولذلك قال صلّى الله عليه وسلّم: أكثر أهل الجنّة البله... فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصّالحة ولايتعرّضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم ولكنّ الآن قد استرخى العِنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظنّ وحُسبان... إلّا إذا جاوز حدود العقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوّة، وذلك هُو الكبريتُ الأحمر وأنّىَ يتيسّر، وإنّما يسلم عن هذا الخطر البُله من العوامّ أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول...»[90].

ويقول المولوي:

چز به مصنوعی ندیدی صانعی
بر قیاس اقترانی قانعی
می فزاید در وسایط فلسفی
از دلایل، باز برعکسش صفی
این گریزد از دلیل و از حجیب
از پی مدلول سربرده به جیب
گر دُخان اورا دلیل آتش است
بی دُخان ما را دراین آتش خوش است
خاصه این آتش که درقرب و ولا
از دُخان نزدیکتر آمد به ما[91]
آنچه حق است اقرب از حبل الورید
تو فکندی تیر فکرت را بعید
ای کمان و تیرها برساخته
صید نزدیك و تو دور انداخته
فلسفی خودرا زاندیشه بکشت
گو بدو کورا سوی گنج است پشت
گو بدو چندانکه افزون می دود
از مراد دل جداتر می شود
جاهدوا فینا بگفت آن شهریار
جاهدوا عنّا نگفت ای بیقرار
نی چو کنعان کو زکبر و ناشناخت
از نُهِ عاصم سفینهٔ نوز ساخت
علم تیراندازیش آمد حجیب
و آن مراد او بُده حاضر به جیب
ای بسا علم و ذکاوات و فطن
گشته رهرورا چو غول و راهزن

بیشتر اصحاب جنّت ابلهند
تا زِشرّ فیلسوفی می رهند
خویش را عریان کن از جمله فضول
ترك خود کن تا کند رحمت نزول
زیرکان با صنعتی قانع شدند
ابلهان از صنع در صانع شدند[92]
خود هنر آن دان که دیدآتش عیان
نی گپِ «دلّ علی النّار الدّخان»
ای دلیلت گنده تر نزد لبیب
در حقیقت از دلیل آن طبیب
چون دلیلت نیست جز این ای پسر
ژاژ می خاء درکمیزی می نگر[93]
داند آنکو نیکبخت و محرم است
زیرکی زابلیس و عشق از آدم است
زیرکی بفروش و حیرانی بخر
زیرکی ظنّ است و حیرانی بصر
عقل قربان کن به پیش مصطفی
حسبی اللّه گو که اللّه کفی
همچو کنعان یا زکشتی وامکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سرکوه مشید
منّت نوحم چرا باید کشید؟
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع در نوح و کشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بُدی
تاچو طفلان چنگ در مادرزدی
یا به علم نقل کم بودی مُلی
علم وحیِ دل ربودی از ولی
خویش ابله کن تبع میرو سپس
رَستگی زین ابلهی یابی وبس
اکثر اهل الجنّةِ البله ای پدر
بهر این گفته است سلطانُ البشر[94]
صد هزاران اهل تقلید و نشان
افکنَدشان نیم وهمی درگمان
شبهه می انگیزد آن شیطان دون
درفتند این جمله کوران سرنگون
پای استدلالیان چوبین بود
پای چوبین سخت بی تمکین بود

این عصا چه بود؟ قیاسات و دلیل
آن عصا که دادشان بینا جلیل
او عصاتان داد تا پیش آمدید
وان عصا از خشم هم بروی زدید
چون عصا شد آلت جنگ و نفیر
آن عصا را خرد بشکن ای ضریر[٩٥]

ثمّ إنّ طريقة تعلّم الصوفية التي هي العمل على تصفية مرآة الباطن وجلائها والطلب والعطش الدائمين لكشف الحجاب وشرب شراب المعرفة، واجتناب المناقشات والأقاويل المدرسية، وردت واضحة في عبارات الغزالي التالية وأشعار المولوي التي كأنها ترجمة لتلك العبارات:

«... فاعلم أنّ ميل أهل التّصوّف إلى العلوم الالهاميّة دون التعليميّة. فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلّة المذكورة، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصّفات المذمومة وقطع العلائق كلّها والاقبال بكنه الهمّة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولّي لقلب عبده والمتكفّل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولّى الله أمرَ القلب فاضت عليه الرّحمةُ وأشرق النّور في القلب وانشرح الصّدر وانكشف له سرّ الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرّة بلطف الرّحمة وتلألأت فيه حقائقُ الأمور الالهيّة، فليس على العبد الّا الاستعداد بالتّصفية المجرّدة وإحضار الهمّة مع الارادة الصّادقة والتّعطّش التّامّ والترصّد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرّحمة. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم لا بالتعلّم والدّراسة والكتابة للكتب، بل بالزّهد في الدنيا والتبري، من علائقها... وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء، ثمّ استعداد وانتظار فقط.»[٩٦].

دفتر صوفی سواد و حرف نیست
جز دل اسپید همچون برف نیست
زاد دانشمند آثار قلم
زاد صوفی چیست؟ انوار قدم[٩٧]
آب کم جو تشنگی آور به دست
تابجوشد آبت از بالا و پست
تاسقاهم ربّهم آید خطاب
تشنه باش، الله اعلم بالصواب[٩٨]
همچو آهن زآهنی بی رنگ شو
در ریاضت آینهٔ بی زنگ شو
خویش را صاف کن از اوصاف خود
تابیینی ذات پاك صاف خود
بینی اندر دل علوم انبیا
بی کتاب و بی معید و اوستا
بی صحیحین و أحادیث و رُوات
بلکه اندر مشرب آب حیات
در مثال خواهی از علم نهان
قصه گو از رومیان و چینیان[٩٩]

ويذكر الغزالي بعد تلك العبارات التي أوردناها مثالين ليجعل الفرق بين هذين العلمين قابلاً للفهم من خلال التشبيه بالمحسوسات، وكان مثاله الثاني: قصة المنافسة الشهيرة بين الصينيين والرومان في الرسم، والتي يذكرها المولوي حرفياً عقب الأبيات السابقة مع اختلاف واحدٍ هو أن المولوي يختمها بفوز الرومان (بدل الصينيين عند الغزالي) ويعتبر الصوفية كالرومان:

رومیان آن صوفیان اند، ای پسر
بی زتکرار و کتاب و بی هنر
لیك صیقل کرده اند آن سینه ها
پاك زآز و حرص وبخل و کینه ها
نقش و قشر علم را بگذاشتند
رایت علم الیقین افراشتند

أمّا مثال الغزالي الأول فهو الحوض الذي يمكن امتلاؤه عن طريقين: صبّ الأنهار فيه من الخارج، أو حفر أسفل الحوض، وانفجار الماء من الداخل:

«إنّه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض، احتمل أن يُساق الماء من فوقه بأنهار تُفتح فيه ويحتمل أن يُحفر أسفلُ الحوض ويُرفع منه التّراب إلى ان يقرب من مستقرّ الماء الصّافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر. فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء. تكون الحواسّ الخمس مثل الأنهار، وقد يمكن أن تُساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواسّ والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علماً. ويمكن أن تُسدّ هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغضّ البصر ويُعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب منه حتى تنفجر ينابيعُ العلم من داخله»[١٠٠].

وقد استفاد المولوي من هذا المثال أيضاً وأورده في مواضع أخرى من المثنوي:

حبّذا کاریز اصل چیزها
فارغت آرد ازین کاریزها
تو زصد ینبوع شربت می کشی
هرچه زان صد کم شود کاهد خوشی
چون بجوشد از درون چشمه سنیّ
زاستراق چشمه‌ها گردی غنیّ
چشمهٔ آبی درون خانه ای
به زرودی کان نه درکاشانه ای
قلعه‌را چون آب آید از برون
در زمان امن باشد در فزون
چونکه دشمن گرد آن حلقه کند
تاکه اندر خونشان غرقه کند
آب بیرون‌را ببندد آن سپاه
تا نباشد قلعه‌را زآنها پناه
آن زمان یك چاه شوری از درون
به زصد جیحون شیرین از برون(۱۰۱)
چون زسینه آب دانش جوش کرد
نی شود گنده نه دیرینه نه زرد
ورنه نبعش بود بسته چه غم؟
کو همی جوشد زخانه دمبدم
عقل تحصیلی مثال جویها
کان رود درخانه ای از کویها
راه آبش بسته شد شد بینوا
تشنه ماند و زار و باصد ابتلا
از درون خویشتن جو چشمه‌را
تا رهی از منّت هر ناسزا(۱۰۲)

(١٣)

يظهر الغزالي دقّته وبصيرته وإلمامه بمعرفة المجتمع عندما يفسّر سلوك الناس ودوران عجلة الحياة، وتقسيم الأشغال الاجتماعية، وظهور الأعمال والحرف وأنواع الصناعات. فقد وصف الدنيا والحياة البشرية في بعض أقسام كتاب إحياء علوم الدين، وكان وصفه أفضل مايكون في كتاب ذم الدنيا (الكتاب السادس من ربع المهلكات) وبين الأسس التي تقوم عليها الحياة والعلاقات بين الناس، ولماذا تكون المجتمعات على الصورة التي هي عليها الآن، وما هو سرّ ظهور هذا التنوع الملحوظ في فنون الناس وأعمالهم، ولماذا ظهرت المدينة والقرية وسبب اختلافها، وأيّ قدرة أدّت إلى تكامل المجتمعات التدريجي هذا، وما الذي يشغل الناس في الوقت الحاضر ويسخّرهم، وماذا يجب أن يعمل الأذكياء في دنيا كهذه، ومجتمع وتاريخ كهذين، وكيف يستفيدون منها. إن هذا التحليل لمعرفة المجتمع بين وجهة نظر الغزالي السياسية وموقفه السياسي ويفسرها، وسنلاحظ أنّ المولوي يتبنّى نفس قول الغزالي ويتبعه فيه في إحدى النقاط المهمة.

يعتقد الغزالي أنّ حاجات الانسان الأصلية ثلاث: الطعام والسكن والملبس، وليست هذه الحاجات جاهزة في متناول يده، ولذلك حدثت في البداية خمس صناعات هي أصول الصناعات: الفلاحة والرعاية والاقتناص (للحيوانات والمعادن والنباتات..) والبناء والحياكة، ثم الآلات التي يحتاجها أصحاب هذه الصناعات أدت إلى ظهور وحدوث صناعات أخرى هي: النجارة والحدادة والخرازة (كل عمل في جلود الحيوانات وأعضائها).

ومن ناحية أخرى، فإنّ الانسان مضطر إلى الحياة الاجتماعية لسببين: الأول الحاجة إلى بقاء الجنس، والثاني الحاجة إلى التعاون والتناصر. إنّ اجتماع منازل هؤلاء داخل سور آمن لحفظها من اللّصوص وألم البرد والحر أحدث البلاد، وأنّ الحياة الاجتماعية بطبيعتها تؤدي إلى الخصومات والمنازعات، مهما كان هذا الاجتماع في المنازل أو في الأسواق أو في المزارع أو في المراعي، وهذه الخصومات تكون من أجل الحقوق أو بضاعة أو قطعة أرض أو سهم ماء، لأن الحرص والتكاثر يجعل كل واحد من الناس لايرضى بحظه فيتجه كل واحد إلى توسيع ملكه. ثم يظهر العميان وكبار السن والمرضى الذين يعجزون عن العمل، ويجب أن يكون من يتولاهم حتى لايهلكوا، ولو وكلت ولايتهم إلى الجميع لتخاذلوا، ولو خص بعضهم، لكان لايذعن له: فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى، فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل: ومنها صناعة الجنديّة لردع الأعداء واللّصوص، ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة، ومنها الحاجة إلى الفقه، لكن الذين يشتغلون بهذه الصناعات لايستطيعون تأمين معاشهم من طرق أخرى فتحدث الحاجة إلى الخراج،

ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج وإلى من يجمعها ويقسمها أشغال أخرى. ثم إنّ هذه الأمور لايمكن أن تجري متسقة وتلقائياً. فتحدث الحاجة إلى أمير يتولّى أمرها ويراعي النصفة في أخذ الخراج واعطائه، ويصدر أوامر الحرب ويسلح الجند، ويعين الأمراء والقادة، فيحدث من ذلك الحاجة إلى الخزان والكتاب والحساب والعمال والجباة، وهكذا يتفرع من كل شغل عشرات الأشغال. والأمر لاينتهي إلى هذا الحد. لأن كل فرد لاينتج كل مايحتاج إليه، فتحدث الحاجة إلى بضائع الآخرين، ومنها تحدث الأسواق والحوانيت والنقود والتجارة، ثم تحدث الإجارة ويحدث البيع، وتولد معها المدينة مقابل القرية، ثم وجود النقود يؤدي إلى دار الضرب والصيارفة وهلم جرا. وفي الناس من يغفل عن الاحتراف في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه مانع فيبقى عاجزاً، فيحدث منه حرفتان خسيستان: الكدية واللصوصية. أمّا أهل الكدية فيتكدون بأساليب عديدة: إمّا بالتظاهر بالفلج والجنون والمرض. أو يلتجئون إلى الأفعال والأقوال الغريبة ليرغبوا الناس في العطاء، ومنها تحدث الشعبذة وملاعبة القردة والطبل والفأل والشعر. حتى الواعظ الذي لايعلّم المستمعين شيئاً، وغرضه الوحيد هو التظاهر واستمالة قلوب العوام. فشغله ليس أفضل من الكدية. ويمكن العثور على أكثر من ألفين من أنواع هذه الكدية التي تبدو في الظاهر من الأشغال. فهذه أنواع الأشغال التي حدثت من وراء الاجتماع، وكلها ترتوي من معين الحاجات المعيشية، وهكذا الناس وهم في غفلة يرضخون إلى التعب والمشقة، ويعملون ليلاًونهاراً، ويدخرون الأموال وهم لايشعرون بأنّ الحياة في هذه الدنيا تقوم على أساس غفلتهم وتكاثرهم وحرصهم، وأنّ نظام الحياة يحتاج إلى ألاّ يستيقظ الناس ولله في هذه السخرية والغفلة مصالح:

«ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد، بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسّة الهمّة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهّاد أيضاً»[١٠٣].

إنّ هذا الحديث الذي يقدم في الظاهر الحرفة على الفكر، والحياة المعيشية على الحياة الفكرية (ويعتبر خاصة حدوث الهندسة وعلم المساحة، وليد الاحتياجات الزراعيّة، وهو شبيه بما يقوله المؤرخون الماركسيون، ويشاهد إشارات إليه في مصر القديمة)، وخاصّةً إذا أضفنا إليه البحث الرائع والعميق الذي أورده الغزالي في كتاب ذمّ الجاه والرياء، والذي يعتبر فيه أنّ الشوق إلى الاستيلاء والغلبة هو المحرك لجميع أفعال الانسان حتى طلبه للعلم[١٠٤]، كلّ ذلك يمكن أن يؤدي إلى ابتهاج المنحرفين اليساريين وسرورهم، وحتى يؤدّي إلى اعتبارهم نظريّته في الغفلة نوعاً من التوهيم الآيديولوجيّ، ولكن مجرّد إلقاء نظرة عابرة إلى مجموع آثار الغزالي سيبعث ولاشك الخيبة والألم في نفوسهم: والعبارات التي يوردها الغزالي في ختام بحثه السابق تزيل كل شك ـ إن كان هناك من شك ـ ويعتبر أنّ الناجين هم الذين يقتنعون بالضروري من الدنيا، ولايبقون في الدنيا وغفلتها، ويمضون بسرعة منها، ويشتغلون عمرهم بالتفكر بالله وذكره.

ويستنبط من أقوال الغزالي بوضوح أنّ على الزهّاد وأصحاب الفطنة ألاّ يجزعوا لاختلال نظام العالم، وعليهم أن يجزعوا لأنفسهم ويكونوا على ثقة بأنّ الله تعالى يدبر ويدبرّ شؤون العالم بغفلة أهله وحرصهم، وأنّ هذا الدين كما قال الرسول (ص) «يؤيّد بأقوام لا خَلاقَ لهم». ومسئولية التاريخ والعالم لاتقع علينا وأنّ مدبر ومدبّر العالم هو غيرنا، وأنّ واجبنا هو مجاهدة النفس والشفقة على الناس، ويجب أن نعمل ضمن هذا الحدّ. وفي نفس الوقت، ليس لدى الجميع هذا الحدّ من الفطنة لأنّ الاطلاع على هذا السرّ يؤدي إلى انطفاء نار الحرص والتكاثر وانهدام نظام العيش.

ونذكر فيما يلي نماذج أخرى من أقوال الغزالي في هذا المعنى:

«.. فالمحترفون أيضاً إنّما سخّروا لينتظم المُلكُ للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخّروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضاً دينهم، فشرطُ سلامة الدّين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزليّة وإليه الاشارة بقوله تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم...»[١٠٥].

وأيضاً:

«... بل الرّياسة وحبّها يضطرّ الخلق إلى طلبها.. وقد وعد

الله أن يؤيّد هذا الدين بأقوام لا خَلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر النّاس فإنّ الله لايضيّعهم وانظر لنفسك. ثم إنّي أقول... إن لم يكن في البلد إلاّ واحد وكان وعظه نافعاً للناس... فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهِدْ نفسك فإن قال لستُ أقدر على نفسي فنقول إشتغل وجاهد. لأنّا نعلم أنّه لو ترك ذلك لهلك الناس كلّهم إذ لاقائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامةُ دينِ الجميع أحبّ عندنا من سلامة دينه وحده. فنجعله فداءً للقوم ونقول لعلّ هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم: إن الله يؤيّد هذا الدين بأقوامٍ لا خَلاقَ لهم»[106].

وأيضاً:

«... فكذلك لاتزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحبّ الرّياسة ولايَدَعُونها بقول من يقول: إنّ الوعظ لحبّ الرياسة حرامٌ كما لايَدَعُ الخلقُ الشّربَ والزّنا والسّرقة والرّياء والظّلم و سائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله انّ ذلك حرام. فانظر لنفسك وكن فارغَ القلب من حديث الناس، فإنّ الله تعالى يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخصٍ واحد وأشخاص وإنّ الله يؤيّد هذا الدين بأقوام لاخلاقَ لهم...»[107].

وأيضاً:

«وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لايجوز أن يشترك الناس فيها ولايجوز أن يُظهرها من انكشفَ له شيءٌ من ذلك لمن لم ينكشف له. بل لو اشترك النّاس فيها لخربت الدّنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدّنيا. بل لو أكل النّاس كلّهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدّنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعايش...»[108].

وللمولوي:

استن این عالم ای جان غفلت است

هوشیاری این جهان را آفت است

هوشیاری زان جهان است و چو آن

غالب آید، پست گردد این جهان

هوشیاری آفتاب و حرص، یخ

هوشیاری آب و این عالم، وَسَخ

زان جهان اندک ترشّح می‌رسد

تا نغرّد درجهان حرص و حسد

گر ترشّح بیشتر گردد زغیب

نه هنر ماند دراین عالم نه عیب[109]

ما چو واقف گشته ایم از چون وچند

مهر بر لبهای ما بنهاده اند

تا نگردد رازهای غیب فاش

تا نگردد منهدم نظم معاش

تا ندرّد پرده غفلت تمام

تا نجوشد دیگ حکمت نیم خام[110]

خلق دیوانند شهوت سلسله

می کشدشان سوی دکّان و غله

می کشاندشان سوی کسب و شکار

می کشدشان سوی کانها و بحار

می کشاندشان به سوی نیك و بد

گفت حق فی جیدها حبل المَسَد

قد جَعَلنا الحبلَ في أعناقِهم

واتّخذنا الحبلَ مِن أخْلاقِهم[111]

شهوت دنیا مثال گلخن است

که ازآن حمام تقوی روشن است

لیك قسم متّقی زین تون صفاست

زانکه در گرمابه است و در نقاست

اغنیا مانندهٔ سرگین کشان

بهرِ آتش کردن گرمابه دان

اندر ایشان حرص بنهاده خدا

تا بود گرمابه گرم و بانوا

ترك این تون گیر و در گرمابه ران

ترك تون را عین آن گرمابه دان

هرکه در تون است او چون خادم است

مرو را که صابر است و حازم است[112]

وأيضاً:

آن یکی را قبله شد جولاهگی

وان دگر حارس برای جامگی

آن یکی بیکار و رو در لامکان

که از آن سو دادیش تو قوت جان

کار او دارد که حق را شد مرید

بهر کار او زهر کاری برید

دیگران چون کودکان این روز چند

تا به شب بر خاك بازی می کنند[113]

کظم غیظ است ای پسر خطّ امان

خشم حق یادآور و درکش عنان

پس عوان که معدن این خشم گشت
خشم زشتش از سبع هم در گذشت
چه امیدستش به رحمت جز مگر
بازگردد زان صفت آن بی هنر
گرچه عالم را از ایشان چاره نیست
این سخن اندر ضلال افکندنیست
چاره نبود هم جهان را از چمین
لیك نبود آن چمین ماء معین[114]

لايخفى على ذوي الاطلاع الفرق بين التفسير السيكولوجيّ للمولوي وبين التفسير الاجتماعي للغزالي، واتفاقهما على أنّ المبدأ والغاية إلهيّان. وكذلك فإنّ في المثنوي أبياتاً يتحدث فيها المولوي عن اللعب المقلوب والذي هو في الحقيقة تعميم لمسألة الغفلة، ونحن نستنكف هنا عن نقل هذه الأبيات.

لننظر إلى حديث الغزالي في باب الفقه (وعموماً حول الحقوق والقانون) ودوره في هذا التحليل. فهو يعتبر الفقه على الأصول مجموعة من الأوامر والنواهي التي تنفع في فصل الخصومات، وتنظيم أمور المعيشة، وتعتبر مؤسسة اجتماعية، وهو يؤكد في كتاب «العلم» من مجلّد الإحياء الأول على منزلة الفقه هذه، ويبين أنّ العلوم الشرعية على قسمين: أصول وفروع، والفروع أيضاً على قسمين: إمّا تتعلق بمصالح الدنيا وإمّا تتعلق بمصالح الآخرة. الأول هو الذي يسمى فقهاً، والموكلون عليه هم الفقهاء الذين هم علماء الدنيا. ثم يقول في تعليل دنيوية الفقه: «فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء»[115]؛ لكن تدخل الشهوات تؤدي إلى ظهور النزاع، لهذا تأتي الحاجة إلى السلطان والقانون، والفقيه هو الشخص العالم بالقانون. لاتصدق هذه المسألة في أحكام الجراحات والحدود والديات وفصل الخصومات فقط، بل تجري أيضاً في أحكام الصلاة والصيام والحلال والحرام، لأنّه هنا أيضاً يقضي على حسب الشروط الظاهرية في صحة العمل وفساده، ولهذا تتولد الحيل الشرعية وتصبح مباحة وسهلة. ورغم أنّ علم الفقه يقارب العلوم الأخروية ويؤخذ من مشكاة النبوة ولايستغني عنه أي سالك، إلّا أنّ علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والتقوى والغل والحقد والكبر والرياء والغضب والبخل في فتوى علماء الآخرة هو فرض عيني، وتركه يؤدي إلى غضب ملك الملوك والهلاك. والآن لنرى ألم يشر المولوي في الأبيات التالية الى نوعين من فقه الظاهر وفقه الباطن مجملاً ضمن تخطئته لتكبر النحوي؟

گر تو علامه زمانی در جهان
نك فنای این جهان بین این زمان
مرد نحوی را از آن در دوختیم
تا شما را نحو محو آموختیم[116]
فقه فقه و نحو نحو و صرف صرف
در کم آمد یابی ای یار شگرف

(١٤)

الأشعرية من المحاور الفكرية المشتركة بين الغزالي والمولوي، فكلاهما في بيان أصولها حازمان جازمان؛ ولكنّهما لايبديان ذلك الجمود والتعنّت في التطبيق. فالغزالي يتحدث عن عدم عبث الفعل الالهي، وعن قبح البخل به، وعن نوع من التقدم والتأخر العلّي والمعلوليّ والشرط والمشروط في العالم[117] وكلّ هذا لايتفق مع مواقف الأشعرية المتصلبة. والمولوي ينفي أيضاً فعل العبث من الله تعالى ويستدل بالأوامر والنواهي الإلهية على وجود الاختيار عند الانسان، اذ لو لم يكن الإنسان مختاراً لأصبح الفعل الإلهي عبثاً لايقبله العقل، وهذا يعني قبول التحسين والتقبيح العقليّين، وهو أمر طالما يصرّ الأشاعرة في نفيه وإبطاله:

هیچ دانا هیچ عاقل این کند
با کلوخ وسنگ خشم و کین کند؟
خالقی کواختر و گردون کند
امر و نهی جاهلانه چون کند؟[118]

والخلاصة أنّ ربّ الأشاعرة ربّ مستبدّ غير منطقي، ليس لأفعاله أي مسوغ عقلي وأخلاقي، ولهذا لايمكن الاعتماد عليه مطلقاً، فهو يستطيع أن يخدع ويختلف الوعد، وأن يحرق الأبرار في جهنم، ويأخذ الأشرار إلى الفردوس، وأن يعذّب البريء الذي لاجرم له بسوء العاقبة، ويقرّب العاصين. كل ذلك جائز ولا مجال للإعتراض، لأنّ كلّ مايفعله هو في ملكه وليس في ملك غيره، ولهذا ليس ظلماً وسلباً لحق. والغزالي يرتعش أمام هذا الربّ من خوف العاقبة، وهو شديد القلق

والفزع على مستقبله المظلم، وعدم مبالاة الربّ، حَرَمه من الراحة والهدوء. ويروي الغزالي في موضعين من الإحياء حديثاً غريباً يتّفق مع مذهبه ليفهم طريقة خوف العالمين من اللّه:

«وقد أوحى اللّه تعالى إلى داود، عليه السلام: خَفني كما تخاف السَّبُع الضّاري... فمن عرف اللّه تعالى عرف من صفاته أنّه يُهلك العالمين ولايُبالي ويعلم أنّه مسخّر في قدرة من لو أهلك مثله آلافاً مؤلّفة وأبدّ عليهم العذاب أبد الآباد لم يُؤثّر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رقّة ولا اعتراهُ عليه جزع...»[119].

وأيضاً:

«... ولايمكن أن تفهم الخوف منه في صفاته، جلّ جلاله، إلّا بمثال لولا أذن الشّرع لم يستجري على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر أنّ اللّه تعالى أوحى إلى داود، عليه السلام: ياداود خفني كما تخاف السّبع الضّاري. فهذا المثال يُفهمك حاصل المعنى.. والحاصل أن السّبع يُخافُ لالجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنّه يفعل ما يفعل ولايبالي.. بل أنت عندهُ أخسّ من أن يلتفت إليك.. وللّه المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة... إنّه صادق في قوله: هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي وهؤلاء إلى النّار ولا أبالي»[120].

وهذه أبيات للمولوي اقتبسها من حديث الغزالي ذاك:

ای زتو ویران دکان و منزلم
چون ننالم چون بیفشاری دلم؟
عاشقم من برفن دیوانگی
سیرم از فرهنگ و از فرزانگی
چون بدرّد شرم، گویم راز فاش
چند ازین صبر و زحیر وارتعاش؟
در حیا پنهان شدم همچون سجاف
ناگهان بجهم ز زیر این لحاف
ای رفیقان راهها را بست یار
آهوی لنگیم و او شیر شکار
غیر تسلیم و رضا کو چاره ای
در کف شیر نری خونخواره ای؟
او ندارد خواب و خور چون آفتاب
روحها را می کند بی خورد و خواب
که بیا من باش یا همخوی من
تا ببینی در تجلّی روی من[121]

(١٥)

ويعتقد الغزالي أنّ للتوكّل ثلاث درجات:

«الدرجة الأولى هي أن يعتمد الشخص المتوكل على اللّه، كاعتماده على وكيله. والثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع اللّه تعالى كحال الطّفل مع أمّه فإنهّ لايعرف غيرها ولايفزع إلى أحدٍ سواها ولايعتمد إلّا ايّاها... الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدَي اللّه تعالى في حركاته وسكناته مثل الميّت بين يدي الغاسل لايفارقه... وهذا الذي قوي يقينه بأنّه مجري للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأنّ كلا يحدث جبراً فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه... وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقةً بكرمه وعنايته... ثمّ إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لايكون المقام الثالث في دوامه إلّا كصفرة الوَجَل... بل يكون صاحبها كالمبهوت»[122].

وللمولوي:

همچو کنعان با زکشتی وامکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سر کوه مشید
منّت نوحم چرا باید کشید
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع در نوح وکشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بدی
تا چو طفلان چنگ در مادر زدی[123]
زاولیا اهل دعا خود دیگرند
که همی دوزند و گاهی بردرند
قوم دیگر می شناسم زاولیا
که دهانشان بسته باشد از دعا
از رضا که هست خاص آن کرام
جستن دفع قضاشان شد حرام
در قضا ذوقی همی بینند خاص
کفرشان آید طلب کردن خلاص
حُسن ظنّی بر دل ایشان گشود
که نپوشند از غمی جامهٔ کبود
چون قضای حق رضای بنده شد
حکم اورا بنده خواهنده شد
بی تکلّف نه پی مُزد و ثواب
بل که طبع او چنین شد مستطاب
پس چرا لابه کند او یا دعا
که بگردان ای خداوند، این قضا؟
پس چرا گوید دعا الّا مگر
در دعا بیند رضای دادگر؟

آن شفاعت وان دعا نز رحم خود
می کند آن بندهٔ صاحب رَشَد
رحم خود را او همان دم سوخته است
که چراغ عشق حق افروخته است
دوزخ اوصاف او عشق است و او
سوخته مر اوصاف خود را مو به مو[١٢٤]

ولايخفى أنّ المولوي يعتبر تاركي الدعاء، من الذين وصلوا إلى مقام (وليس حال) الرضا. لكن الغزالي يبيح ترك الدعاء لواجدي حال (وليس مقام) التوكل فقط، والذي يكون دوامه بقدر دوام «صفرة الوجل».

والواقع أنّه في هذا الحال فقط لايبقى داعٍ ولا دعاء، وإذا مرّ على شفتيه دعاء فسيكون دعاء فاقدي الوعي:

آن دعای بیخودان خود دیگر است
آن دعا زاو نیست گفت داور است
آن دعا حق می کند چون او فناست
آن دعا و آن اجابت از خداست[١٢٥]

ولكنّ هذا الحال لايدوم، والعارف المتوكل يعود مرة أخرى من الجمع إلى التفرقة ويدخل في الكثرة، وتجري عليه أحكام مقام التفرقة. لهذا فإنّ الغزالي رغم قبوله مقام الرضا (وهو التسليم للأمور بخلاف مايهواه ويتمنّاه وبناله المحبّون لأجل المحبوب وبفضله، ويصبح المكروه من المحبوب طيّباً)، لايراه مناقضاً للدعاء، ويعتقد: «إنّ الدعاء غير مناقض للرضا ولايخرج صاحبه عن مقام الرضا... فأمّا الدعاء فقد تعبّدنا به»[١٢٦].

ومن هنا تنبعث المسألة الكلامية المعروفة: ألاّ يلزم التسليم بالقدر الإلهي، الرضا بالمعاصي والفجور والكفر؟ ويجيب الغزالي بصراحة: بأنّ هذا الاعتقاد ينتج عن «الجهل بالتأويل، والغفلة عن أسرار الشرع». فالمسلم لايستطيع ويجب ألاّ يرضى بالمقوتات، بل واجبه أن يسعى في دفعها، ولايرى الغزالي تناقضاً بين الرضا بالقدر الإلهي وبين مقت القبائح (التي تقع أيضاً بالقدر الإلهي)، لأنّ هذا المقت والرضا بالأمر الواحد لايتعلق بالوجه الواحد. فالفعل من حيث أنه منتسب إلى الله مرضي، ومن حيث أنه فعل العبد منبوذ وممقوت. للمثال نقول: إذا مات من هو عدو زيد، وعدو أحد أعداء زيد، فإنّ زيداً سيكون راضياً من موته، وفي نفس الوقت غير راض، وهاتان الحالتان تنبعثان من وجهي الحادثة.

«وكذلك المعصية لها وجهان، وجهٌ إلى الله تعالى من حيث أنّه فعلُه واختيارُه وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه، ووجهٌ إلى العبد من حيث أنّه كسبُه ووصفُه وعلامةُ كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده، حيث سلّط أسبابَ البُعد والمقت فهو من هذا الوجه منكرٌ ومذموم»[١٢٧].

وهو نفس الحل الذي ارتضاه المولوي وأورده في المثنوي:

دی سؤال کرد سائل مر مرا
زانکه عاشق بود او بر ماجرا!
گفت نکتهٔ الرضا بالکفر کفر
این پیمبر گفت وگفت اوست مُهر
باز فرمود او که اندر هر قضا
مر مسلمان را رضا باید رضا
نی قضای حق بود کفر و نفاق؟
گر بدین راضی شوم باشد شقاق
ورنیم راضی بود آن هم زیان
پس چه چاره باشدم اندر میان؟
گفتمش این کفر، مقضیّ نی قضاست
هست آثار قضا این کفر راست
پس قضا را خواجه از مقضیّ بدان
تا شکالت حل شود اندر جهان
زشتی خط زشتی نقّاش نیست
بلکه از وی زشت را بنمود نیست
قوت نقاش باشد آنکه او
هم تواند زشت کردن هم نکو
گر کشانم بحث این را من بساز
تا سؤال و تا جواب آید دراز
ذوق نکتهٔ عشق از من می رود
نقش خدمت نقش دیگر می شود[١٢٨]

وعلى أيّ حال نرى اختلافاً بين حديث الغزالي وحديث المولوي، حول مسألة دعاء أهل الرضا، مع أنّ كليهما يعتقدان بأنّه لامجال للدعاء في منزل من منازل السلوك.

(١٦)

يرى الغزالي أنّ بعض الفنون كالشعر والموسيقى ليست قبيحة ومنكرة في ذاتها، إنّما هي الوعاء القابل الّتي تجعلها

مذموماً في بعض الأحيان. فالشعر والموسيقى والسماع عاملا اثارة، ولايعطيان من ذاتها شيئاً للمستمع، بل يثيران ماكان عنده من قبل، ويقويان تخيلات ضميره، ويسترعيان انتباهه إلى هذه التخيلات. فالأبرار يزيدون براً بالسماع، والفجار والفاسدون الذين يغلب على قلوبهم الشر وطلب الفساد، تتأجج بالشعر والسماع نار شهواتهم، وينزلقون وراء ضمائرهم الفاسدة. ولذلك يجب ألّا يروي أمام كل انسان شعر يتضمن أوصاف المحبوب وجمال خدّه وخاله، وألّا يسمح لكل شاب غافل بحضور مجالس السماع.

وينقل عن أبي سليمان داراني أيضاً:

«وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكّة عن الالتفات إلى الصّور القبيحة فلا تحرّك الأسماع من قلوبهم إلّا ماهو مستكنٌّ فيها فتشتعل فيها نيران الشّهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثرُ ذلك أوكلّه يرجع إلى نوع فساد.. فإنّ المستمع ينزّل كل مايسمعه على مايستولي على قلبه...»(١٢٩).

وينقل عن أبي سليمان الداراني أيضاً:

«السّماع لايجعل في القلب ماليس فيه ولكن يحرّك ماهو فيه»(١٣٠).

إنّ هذا الرأي مع عدم النص على تحريم السماع، يشكّل أساس فتوى الغزالي، وهو أنّ السّماع في الأساس حلال، وأن بعض العوارض واللواحق تجعله غير حلال. وهذا التعليل لايتعدى عند الغزالي هذا الحد، ولايشمل مصاديق أخرى. حتى إنّ الغزالي لايبيح بأيّ وجه استعمال المزمار والعود والوتر والربابة في السماع، ويحرّم العزف على هذه الآلات والأوتار كلّياً، لأنّ الضرب على الآلة عادة شاربي الخمر، وصوته يدعو إلى معاقرة الخمرة. وكل مايختص بأهل الفسق ويؤدي إلى التشبّه بهم بالتبعية حرام. وحتى إذا عزف على العود والربابة فخرج منها أصوات مزعجة، فإنّ سماعها عند الغزالي حرام أيضاً فهو على أيّ حال يتضمن الضرب والاستماع إلى آلة تفوح منها رائحة الفساد، لفرط مجالسة الفاسدين.

وقد تجاوز المولوي الغزالي: فهو يؤيد ذلك التعليل حول الخمر أوّلاً، ولا يأبى عن سماع المزمار والربابة ثانياً، ويبيحه بناء على نفس التعليل كما يبدو، ويسمع عند ضرب الربابة صوت افتتاح أبواب الجنة(١٣١):

نه همه جا بی خودی شرّ می کند
بی ادب را می چنان تر می کند
گر بود عاقل نکوفر می شود
وربود بدخوی، بتر می شود
لیك اغلب چون بدند و ناپسند
برهمه می را محرّم کرده اند
حکم اغلب راست، چون غالب بدند
تیغ را از دست رهزن بستدند(١٣٢)

لیك به مقصودش از بانگ رباب
همچو مشتاقان خیال آن خطاب
نالهٔ سرنا وتهدید دهل
چیزکی ماند بدان ناقور کل
پس حکیمان گفته اند این لحنها
از دوار چرخ بگرفتیم ما
بانگ گردشهای چرخ است اینکه خلق
می سرایندش به طنبور و به حلق
مؤمنان گویند کآثار بهشت
نغز گردانید هر آواز زشت
پس غذای عاشقان آمد سماع
که دراو باشد خیال اجتماع
قوتی گیرد خیالات ضمیر
بلکه صورت گردد ازبانگ صفیر(١٣٣)

وهذه هي التخيلات التي يقويها عزف الربابة في الضمير:

هیچ می دانی چه می گوید رباب
زاشك چشم و از جگرهای کباب
پوستی ام دور مانده من زگوشت
چون ننالم در فراق و در عذاب؟
چوب هم گوید بُدم من شاخ سبز
زین من بشکست و بدرید آن رکاب
ما غریبان فراقیم ای شهان
بشنوید از ما: الی الله المآب
هم زحق رستیم اول در جهان
هم بدو واپس رویم از انقلاب
خوش کمانچه می کشد کان تیر او
در دل عشّاق دارد اضطراب
تُرك و رومی وعرب گر عاشق است
همزبان اوست این بانگ صواب

از برون شش جهت این بانگ خاست

کز جهت بگریز و رو از ما متاب[١٣٤]

(١٧)

للغزالي:

«لأنّ العشق التامّ الكامل مايستغرق العاشق ويستوق القلبَ حتى لايترك فيه مُتّسعاً لغيره فمحبّ الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه...»[١٣٥].

وأيضاً:

«ومن حدّ هذا العشق أنّه لايقبل الشركة وكلّ ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة. إذ كلّ محبوب سواه يتصور له نظيرٌ إمّا في الوجود وإمّا في الإمكان فامّا هذا الجمال فلا يتصوّر له ثانٍ لا في الإمكان ولا في الوجود»[١٣٦].

للمولوي:

عاشقان را شادمانی و غم اوست

دستمزد و اُجرتِ خدمت هم اوست

غیر معشوق از تماشایی بود

عشق نبود هرزه سودایی بود

عشق آن شعله است کوچون بر فروخت

هرچه جز معشوق باقی جمله سوخت

تیغ لا در قتلِ غیر حق براند

درنگر زان پس که بعد لا چه ماند

ماند الاّ اللّه، باقی جمله رفت

شاد باش ای عشق شرکت سوز زفت

خود هم او بود اوّلین و آخرین

شرك جز ازدیدهٔ احول مبین[١٣٧]

شمس در خارج اگرچه هست فرد

مثل آن هم می توان تصویر کرد

لیك شمسی كه ازوشد هست اثیر

نبودش در ذهن و در خارج نظیر

در تصوّر ذات او را گنج کو؟

تا درآید در تصوّر مثل او[١٣٨]

(١٨)

للغزالي:

«فإن قلت فالدّاعي إلى المعاصي المختلفة شيطانٌ واحدٌ او شياطين مختلفون؟ فاعلم أن لاحاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة، فاشتغل بدفع العدوّ ولاتسأل عن صفته. كُلِ البقلَ من حيث يُؤتى ولاتسأل عن المبقلة»[١٣٩].

وأيضاً:

«فإن قلت فهذه الرّؤيا محلّها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أنّ الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لايلتفتون إلى هذا الخلاف ولاينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولايسأل عن المبقلة»[١٤٠].

للمولوي:

ابلهان گویند این افسانه را

خط بکش زیرا دروغ است و خطا

ای برادر قصّه چون پیمانه است

معنی اندر وی بسان دانه است

دانهٔ معنی بگیرد مرد عقل

ننگرد پیمانه را گر گشت نقل

ماجرای بلبل و گل گوشدار

گرچه گفتی نیست اینجا آشکار

گفت نحوی زیدٌ عمرواً قد ضرب

گفت چونش کرد بی جرمی ادب؟

گفت این پیمانهٔ معنی بود

گندمش بستان که پیمانه است رد[١٤١]

(١٩)

للغزالي:

«فإن قلت فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع... فاعلم أنّ ذلك إنّما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة. بل لو نظر إلى كافرٍ لم يُمكنه أن يتكبّر عليه. إذ يتصوّر أن يسلم الكافر فيُختم له بالايمان ويضلّ هذا فيُختم له بالكفر...»[١٤٢].

للمولوي:

هیچ کافر را بخواری منگرید

که مسلمان مردنش باشد امید

چه خبر داری زختم عمر او

تا بگردانی ازو یکباره رو؟[١٤٣]

(٢٠)

للغزالي:

«... أما تتأمّلين؟ مذكم تعدين بنفسك وتقولين غداً غداً فقد جاء الغد وصار يوماً فكيف وجدته؟ أما علمت أنّ الغد الذي جاء

وصار يوماً كانَ له حكم الأمس، لابل الّذي تعجزين عنه اليوم فأنت غداً عنه أعجز وأعجز لأنّ الشّهوة كالشّجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها، فإذاعجز العبدُ عن قلعها للضّعف وأخّرها كان كمن عَجَز عن قلع شجرةٍ و هو شابٌ قويّ فأخّرها إلى سنة أخرى، مع العلم بأنّ طولَ المدّة يزيد الشّجرة قوةً ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهناً...»(١٤٤).

للمولوي:

ای خنک آن را که او ایّام پیش
مغتنم دارد گزارد وام خویش
اندر آن ایّام کِش قدرت بود
صحّت و زور دل و قوّت بود
پیش از آن کایّام پیری در رسد
گردنت بندد به حبل من مَسَد
همچو آن مرد درشت خوشت سخن
در میان ره نشانْد او خاربن
ره گذریانش ملامتگر شدند
پس بگفتندش بکن آن را نکند
هردمی آن خاربن افزون شدی
پای خلق از زخم آن پرخون شدی
جامه های خلق بدریدی زخار
پای درویشان بخستی زارزار
چون به جدّ حاکم بدو گفت این بکن
گفت آری برکنم روزیش من
مدّتی فردا و فردا وعده داد
شد درخت خار او محکم نهاد
گفت روزی حاکمش ای وعده کژ
پیش آدر کارما واپس مغژ
گفت الایّامُ یا عمّ بیننا
گفت عجّل لاتُماطل دیننا
تو که می گویی که فردا این بدان
که به هر روزی که می آید زمان
آن درخت بد جوانتر می شود
وین کننده پیرو مضطرّ می شود
او جوانتر می شود تو پیرتر
زودباش و روزگار خود مبر
خاربن دان هریکی خوی بدت
بارها درپای، خار آخر زدت
هین وهین ای راهرو بیگاه شد
آفتاب عمر سوی چاه شد
هین مگو فردا که فرداها گذشت
تا بکلّی نگذرد ایّام کشت
پند من بشنو که تن بند قویست
کهنه بیرون کن گرت میل نویست(١٤٥)

(٢٦)

ويبدو أنّ المصدر الوحيد لحكاية عليّ (ع) مع عمرو بن عبدود التي وردت في آخر الدفتر الأول من المثنوي، هو كتاب كيمياي سعادت للغزالي. وقد أضاف المولوي كعادته مسائل كثيرة إلى هذه الحكاية، واستنبط كثيراً من النكات الظريفة والحكم منها. يقول الغزالي:

«... وهكذا أهوى عليّ (رض) على الكافر ليقتله، فبصق الكافر في وجهه فكفّ عنه ولم يقتله، وقال: غضبتُ، فخفتُ ألّا يكون قتلي ايّاه في سبيل اللّه»(١٤٦).

للمولوي:

از علی آموز اخلاص عمل
شیر حق را دان منزّه از دغل
در غزا بر پهلوانی دست یافت
زود شمشیری بر آورد و شتافت
او خدو انداخت بر روی علی
افتخار هر نبیّ و هر ولی
در زمان انداخت شمشیر آن علی
کرد او اندر غزایش کاهلی
گشت حیران آن مبارز زین عمل
از نمودن عفو و رحم بی محل
گفت بر من تیغ تیز افراشتی
از چه افکندی مرا بگذاشتی؟
گفت من تیغ از پی حق می زنم
بندهٔ حقّم نه مأمور تنم؟
چون خدو انداختی بر روی من
نفس جنبید و تبه شد خوی من
نیم بهر حق شد و نیمی هوا
شرکت اندر کار حق نبود روا(١٤٧)

(٢٢)

يوجد في إحياء علوم الدين والمثنوي مواضيع مشتركة كثيرة نورد بعضها مفهرساً فيما يلي:

شياطين الإنس (٣: ٣٩٦)، الظواهر المزينة والبواطن الخبيثة (٣: ٣٩٠)، ذكر الله والتفكر في جلاله (٣: ٢٣٧)، إنّما الغنى غنى النفس، وليس كثرة العرض (٣: ٢٣٨)، لزوم المجاهدة والتعب الشديد المستمر (٣: ٦٩)، ما من إنسان إلّا وفي باطنه فرعون (وموسى) (٣: ٢٨١)، أهمية الحال في إزاء المقال (٣: ٢٧٦)، فعل العبد وفعل الله، ومراتب وجودهما، والإنتباه إلى مارميت إذ رميت ولكن الله رمى (٣: ٣٧٢) و (١: ٢٩٣، ٢٨٣)، يجب عدم إفشاء الأسرار وبعض الحالات لايمكن الفصح عنها (٤: ٢٤٨ و ٤: ٩٧)، شهادة جميع حركاتنا وسكناتنا على وحدانية الله(٤: ٣٢١)، كون العالم كلّه جميل، واستفادة كل مدرك للجمال من جمال الله (٤: ٣٤٨)، زوال المحبة التي تبنى على الطمع(٤: ٣٦٠)، لن يكون الأمر مع الكرماء صعب (٤: ٤٢٣)، الفناء عن النفس في مشاهدة الله، وغلبة سكر المحبة والوصول إلى الفناء (٢: ٢٩١)، تشبيه المال بالماء (٤: ١٩٢)، معرفة النور من ضدّه (٤: ٣٢١)، نفع الآلام والشقاء ودورها في إزالة الغفلة (٤: ٢٨٩)، انجذاب كل جنس بجنسه (٤: ٢٦٣)، تفاوت العقول منذ نشأتها (١: ٨٨)، غفلة السالك عن الماضي والمستقبل (٤: ٤٢).

ومن الإختلافات الفكرية البارزة بين المولوي والغزالي تعارضهما حول شطحيات العرفاء وقول منصور الحلاج «أنا الحق». فيرى الغزالي أنّ قول أنا الحق، «خطأ بعينه» ويشبه ادّعاء النصارى حول المسيح (٢: ٢٩١)، في حين أنّ المولوي يؤيّد شطحيات بايزيد والحلاج ويفسّرها، وأبيات المولوي التالية تتضمّن هذه المواضيع بالترتيب:

چون بسی ابلیس آدم روی هست
پس به هر دستی نشاید داد دست
ظاهرت چون گور کافر پر حلل
واندرون قهر خدا عزّوجل
این قدر گفتیم باقی فکر کن
فکر اگر جامد بود رو ذکر کن
شاه آن باشد که از خود شه بود
نی به مخزنها و لشکر شه شود
این طالب کاری مبارک جنبشی ست
این طلب در راه حق مانع کشی ست
موسی و فرعون در هستیّ تست
باید این دو خصم را درخویش جست
ما برون را ننگریم و قال را
بل درون را بنگریم و حال را
گر بپرّانیم تیر آن نی زماست
ماکمان و تیراندازش خداست
مارمیت إذ رمیتَ گفت حق
کاراو بر کارها دارد سبق
مارمیت إذ رمیتْ خوانده ای
لیك جسمی در تجزّی مانده ای
تا نگویی سرّ سلطان را به کس
تانریزی قند را پیش مگس
تا به دریا سیر اسب و زین بود
بعد از آنت مرکب چوبین بود
این خموشی مرکب چوبین بود
بحریان را خامشی تلقین بود
جنبش ما هردمی خود اشهدست
که گواه ذو الجلال سرمدست
جنبش سنگ آسیا در اضطراب
أشهد آمد بروجود جوی آب
هر کسی پیش کلوخی سینه چاك
کان کلوخ از حسن آمد جرعه ناك
باده خاك آلودتان مجنون کند
صاف اگر باشد ندانم چون کند
عشقهایی کز پی رنگی بود
عشق نبود عاقبت ننگی بود
هین مگو ما را بدان شه بار نیست
باکریمان کارها دشوار نیست
چون زبانه شمع پیش آفتاب
نیست باشد، هست باشد در حساب
پیش شیری آهوی مدهوش شد
هستیش در هست او روپوش شد
مال را کز بهر دین باشی حمول
نعم مالٌ صالحٌ خوانده رسول
آب در کشتی هلاك کشتی است
آب اندر زیر کشتی پشتی است

پس به ضدّ نور دانستی تو نور
ضدّ ضدّ را می نماید در صدور
دردها بخشید حق از لطف خویش
تا نخسبم جمله شب چون گاومیش
ذرّه ذرّه کاندرین ارض و سماست
جنس خود را همچو کاه و کهرباست
اختلاف عقلها از اصل بود
بر وفاق سنّیان باید شنود
برخلاف قول اهل اعتزال
که عقول از اصل دارند اعتدال
هست هشیاری زیاد ماضی
ماضی و مستقبلت پردهٔ خدا
آتش اندرزن بهر دو تابکی
پرگره باشی از این دو همچونی؟
صبغة الله چیست؟ خم رنگ هو
پیسها یك رنگ می گردد در او
چون در آن خم افتد و گوییش قُم
گویدت بی شك منم خم لاتلُم
این «منم خم» خود أنا الحقّ گفتن است
رنگ آتش دارد اما آهن است
گفت فرعونی أنا الحق گشت پست
گفت منصوری أنا الحقّ و برست
با مریدان آن فقیر محتشم
بایزید، آمد که یزدان نك منم
گفت مستانه عیان آن ذوفنون
لا اله إلاّ أنا، ها فاعبدون
مست گشت او باز از آن سغراق رفت
آن وصیّتهاش از خاطر برفت
عقل را سیل تحیّر در ربود
زان قوی‌تر گفت کاوّل گفته بود
نیست اندر جبّه ام الاّ خدا
چند جویی در زمین و در سما؟
نقش او فانیّ و او شد آینه
غیر نقش روی غیر آنجای نه
لب ببند ارچه فصاحت دست داد
دم مزن، والله أعلم بالرّشاد

نسأل الله التّسديد وحُسن العاقبة ونصلّي ونسلّم على محمّد وآله، ولاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

المصادر والهوامش:

١ ـ هذا الاقتباس عن كلام علي، عليه السلام، عند الحديث عن مؤمن: «وكان يُعظّمه في عيني صغر الدنيا في عينه». نهج البلاغة، ج٦، الكلمة ٢٨١.
٢ ـ أنظر: إحياء العلوم، ج١/ كتاب العلم و ج٣/ كتاب ذم الغرور.
٣ ـ أخذ عن الخاقاني:
قفل اسطورهٔ ارسطو را   بر در أحسن الملل منهيد
نقش فرسودهٔ فلاطون را   بر طراز بهين تحمل منهيد
٤ ـ راجع إحياء العلوم، ج١/ كتاب العلم وج٣/ كتاب ذم الغرور. (بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٣).
٥ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذم الغرور، وج١/ كتاب العلم، آفات المناظرة، ج١.
٦ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذم الغرور و ج١/ كتاب العلم: بيان مابدّل من ألفاظ العلوم.
٧ ـ ن. م، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص ٢٥٠: «..والأمور الدينيّة كلّها قد فسدت وضعفت إلّا التصوّف فإنّه قد انمحق بالكلّية وبطل».
٨ ـ أنظر: مناقب العارفين، شمس الدين أحمد الأفلاكي، تصحيح تحسين اليازيجي، ج١/، ص ١٠١ ـ ١٠٢).
٩ ـ حديث الغزالي لأبي بكر بن وليد القريشي، عندما طلب منه في الشام أن يناظره: «تركناه لصبية في العراق». (غزالي نامه، الاستاذ همايي، ص ١٦٦ نقله عن مرآة الجنان، لليافعي).
١٠ ـ أنظر: تعريف الإحياء بفضائل الأحياء، لعبد القادر عيدروس، ملحق المجلد الأول لإحياء العلوم، ص ١٢، طبعة بيروت، ١٩٨٣.
١١ ـ اقتبس من رباعيّة لمولوي:
زاهد بودم ترانه گويم كردی
ميخوارهٔ بزم و باده خويم كردی
سجّاده نشين با وقاری بودم
بازيچهٔ كودكان كويم كردی
١٢ ـ اقتبس من بيت لمولوي:
موسيا آداب دانان ديگرند   سوخته جان و روانان ديگرند
وعن حكاية وردت في مناقب العارفين لشمس الدين أحمد الأفلاكي، ج١، ص ٤٧١.
١٣ ـ «وإذا الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأمور وسعدت نفوسهم بنيل كمالها الممكن لها، لا بالتعلّم بل بالزّهد في الدنيا والإعراض والتبرّي عن علائقها والإقبال بكل الهمّة على الله تعالى، فمن كان لله كان الله له حتى انه في الوقت الّذي صدقت فيه رغبتي لسلوك هذا الطّريق، شاورت متبوعاً مقدّماً من الصّوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني وقال: السّبيل أن تقطع علائقك من الدّنيا بالكلّيّة بحيث لايلتفت قلبك إلى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية... ثمّ تخلو بنفسك في زاوية...». ميزان العمل، للغزالي، ص ٢١٢، تحقيق ومقدّمة الدكتور سليمان الدنيا، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٤.

۱٤ ـ
أخذت بأعضادهم إذ نأوا ... وخلّفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدي ولا تهتدي ... وتُسمِع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسنّ الحديد ولا تقطع
(مقدّمة اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين، القاهرة ۱۳۱۱ق).

۱٥ ـ
ای رستخیز ناگهان وی رحمت بی منتها
وی آتش افروخته دربیشهٔ اندیشه ها
(ديوان شمس التبريزي، الغزل الأوّل)

۱٦ ـ
ترس موبی نیست اندر پیش عشق
جمله قربانند اندر کیش عشق
عشق وصف ایزد است اما که خوف
وصف بندهٔ مبتلای فرج وجوف
زاهد با ترس می تازد به پا
عاشقان پرّان تر از باد صبا
کی رسند این خائفان در گرد عشق
کاسمان را پست سازد درد عشق
وأيضاً:
نور شد وسوسه عشق است و بس
ورنه کی وسواس را بسته است کس؟
(المثنوي، الدفتر الخامس)
وأيضاً عن ديوان شمس:
در ره معشوق ما ترسندگان را کار نیست
جمله شاهانند آنجا، بندگان را بار نیست
(ج۱، ص ۲۳۱، تصحيح فروزانفر)

۱۷ ـ
جان من بستان توای جان را اصول
زانکه بی تو گشته ام ازجان ملول
عاشقم من بر فن دیوانگی
سیرم از فرهنگ واز فرزانگی
(المثنوي، الدفتر السادس)

۱۸ ـ مناقب العارفين، ج۱، ص ۲۲۰، أنظر أيضاً: ج۱، ص ٤٦٦ ـ ٤٦۷.

۱۹ ـ
فراخ تر ز فلك گشت سینهٔ تنگم
لطیف تر ز قمر گشت چهرهٔ زردم
شرابخانهٔ عالم شده است سینهٔ من
هزار رحمت بر سینهٔ جوانمردم
(ديوان شمس، ج٤، ص ٥٦)

۲۰ ـ
باده غمگینان خورند وما ز می خوشدل تریم
رو به محبوسان غم ده ساقیا افیون خویش
خون ما بر غم حرام و خون غم بر ما حلال
هر غمی کو گرد ما گردید شد درخون خویش
(ديوان شمس، ج۳، ص ۹۸)

۲۱ ـ
می ده گزافه ساقیا تاکم شود خوف و رجا
گردن بزن اندیشه را ما از کجا او از کجا
امروز مهمان توام مست و پریشان توام
پرشد همه شهر این خبر کامروز عیش است، الصلا
(ديوان شمس، ج۱، ص ۲۷)

۲۲ ـ
مادرم بخت بدست و پدرم جود و کرم
فرح بن الفرح بن الفرح بن الفرحم
مُرد غم در فرحش که یجبر الله عزاك
آن چنان تیغ چگونه نزند گردن غم؟
(ديوان شمس، ج٤، ص ۹)

۲۳ ـ
می وصلم بچشان تا در زندان ابد
از سر عربده مستانه به هم درشکنم
(من غزل ينسب إلى المولوي)

۲٤ ـ
در چنین مستی مراعات ادب
خود نباشد ور بود باشد عجب
جمع صورت با چنان معنای ژرف
نیست ممکن جز ز سلطان شگرف
(المثنوي، الدفتر الثالث، في بيان خلوّ الصحابة من حافظ للقرآن)

۲٥ ـ
یك زمان بگذار، ای همره ملال
تا بگویم وصف خالی زان جمال
در بیان ناید جمال حال او
هر دو عالم چیست عکس خال او
چونکه من از خال خوبش دم زنم
نطق می خواهد که بشکافد تنم
(المثنوي، الدفتر الثاني، كلام الله مع الملائكة)

۲٦ ـ ومن عرف ضعف نفسه وعجزه.. علم انه لم يقو عليه (أي نفي العُجب) بنفسه بل بالله تعالى... ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدّاً بل سبيله أن يكون مشاهداً جملة ذلك من فضل الله... ويكون خائفاً.. غير آمن مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة. وهذا خطرٌ لا محيص عنه وخوف لانجاة منه إلاّ بعد جاوزة الصّراط... فلذلك لايفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبداً. فنسأل الله تعالى العون والتّوفيق وحسن الخاتمة فإنّ الأمور بخواتيمها». (الإحياء،

۳/ كتاب ذمّ الغرور، ص ٤١٤) وأيضاً: «فالذي يرفع محمّداً صلّى الله عليه وسلّم، إلى أعلى علّيّين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل السّافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يُخاف منه صفة جلاله... وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزمٌ عند كل عاقل. ووراء هذا المعنى سرّ القدر لايجوز إفشاؤه...» (الإحياء، كتاب الخوف والرّجاء، ص ١٥٩).

٢٧ ـ «... ولعلّ ما أودعناه هذا الكتاب (إحياء علوم الدين) أن تعلّمه المتعلّم...يُرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا» (الإحياء، ج٢/ كتاب آفات العزلة، ص ٢٣٧).

٢٨ ـ «وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النّفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد أهمله الخلق... ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سدُّ أبواب الخواطر... والخلوة في بيت مظلم تسدّ أبواب الحواسّ والتجرّد عن الأهل والمال يقلّل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة في التخيّلات الجارية في القلب وذلك لايُدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثمّ انه لايزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلابدّ من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر له الا الموت اذلا يتخلّص أحدٌ من الشيطان مادام حيّاً...». (الإحياء، ج٣/ كتاب شرح عجايب القلب، ص ٣٠).

٢٩ ـ «... لأنّ العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة مايطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة مايُطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب...». (الإحياء، ج١، ص ٣ ـ٤).

٣٠ ـ «... ومنها (ثمرات اليقين) أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر الخشية على هيأته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته... وأمّا التهافت في الكلام والتشدّق والاستغراق في الضّحك والحدّة في الحركة والنّطق فكلّ ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة من عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدّنيا الغافلين عن الله دون العلماء به». (الإحياء، ج١/ كتاب العلم، ص ٧٥).

٣١ ـ أنظر مثلاً: الإحياء، ج١/ الفصل الثالث من قواعد العقايد عند البحث عن كلام الله.

٣٢ ـ

هر كه را جامه زعشقى چاك شد
او زحرص و عيب، كلّى پاك شد
مرحبا اى عشق خوش سوداى ما
اى طبيب جمله علّتهاى ما

(المثنوي، الدفتر الأول، المقدّمة)

٣٣ ـ

بوزبند وسوسه عشق است و بس
ورنه كى وسواس را بسته است كس؟

(المثنوي، الدفتر الخامس، قصة الجبري مع مؤمن من أهل السّنة)

٣٤ ـ أنظر مثلاً: الإحياء، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٥٤ وبعدها.

٣٥ ـ

لفظ جبرم عشق را بى صبر كرد
وانكه عاشق نيست حبس جبر كرد
اين معيّت با حق است وجبر نيست
اين تجلّى مه است، اين ابر نيست
ور بود اين جبر جبر عامه نيست
جبر آن امّاره خودكامه نيست

(المثنوي، الدفتر الأوّل، حكاية عمر وموفد البيزانس)

٣٦ ـ

كر شوم مشغول اشكال و جواب
تشنگان را چون توانم داد آب

(المثنوي، الدفتر الأوّل، قصّة الأعرابي والخليفة)

٣٧ ـ

فلسفى منكر شود در فكر وظن
گو: برو سر را بدان ديوار زن
هر كه را در دل شك وپيچانى است
در جهان او فلسفى پنهانى است
فلسفى كو منكر حنّانه است
از حواس انبيا بيگانه است
بيشتر اصحاب جنّت ابلهند
تا ز شرّ فيلسوفى مى رهند

(المثنوي، الدفتر الأوّل)

٣٨ ـ مناقب العارفين، ج١، ص ٤٩٧.

٣٩ ـ

هر كه محراب نمازش گشت عين
سوى ايمان رفتنش ميدان توشين
هر كه شد مرشاه را او جامه دار
هست خسران بهر شاهش اتّجار
هر كه با سلطان شود او همنشين
بر درش شستن بود حيف و غبين
دست بوسش چون رسيد از پادشاه
گر گزيند بوس پا باشد گناه

(المثنوي، حكاية البغاء والتاجر، ويمكنك الرجوع إلى رقم ١٨ من هذا الهامش)

٤٠ ـ

خرده كاريهاى علم هندسه
يا نجوم و علم طبّ و فلسفه

که تعلّق با همین دنیستش
ره به هفتم آسمان بر نیستش
این همه علم بنای آخورست
که عماد بود گاو و اشترست
علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را با دلش
(المثنوي، الدفتر الرابع، عند تفسير الحديث النبوي «إنّ الله تعالى خلق الملائكة»)

٤١ ـ يقول المولوي في الدفتر الأوّل على لسان البطل الذي بصق في وجه الإمام علي، عليه السلام:

یا تو واگو آنچه عقلت یافته است
یا بگویم آنچه بر من تافته است
از تو بر من تافت چون داری نهان؟
می‌فشانی نور چون مه بی زبان
لیک اگر در گفت آید قرص ماه
شب‌روان را زودتر آرد به راه
ماه بی گفتن چو باشد رهنما
چون بگوید شد ضیا اندر ضیا
(المثنوي، الدفتر الأوّل، بصق العدوّ في وجه الإمام علي عليه السلام)

٤٢ ـ أحاديث مثنوي، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية، انتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش، مآخذ قصص وتمثيلات مثنوي، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية إنتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش.

٤٣ ـ الإحياء، ج١/ كتاب العم، ص ٣٠.

٤٤ ـ المثنوي، الدفتر الخامس.

٤٥ ـ ن.م، الدفتر السادس.

٤٦ ـ ن.م، الدفتر الخامس.

٤٧ ـ الإحياء، ج١، ص ٣٠.

٤٨ ـ المثنوي، الدفتر السادس.

٤٩ ـ ن.م.

٥٠ ـ الإحياء، ج١/ آداب المتعلّم والمعلّم، ص ٥١.

٥١ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، البقال والتاجر.

٥٢ ـ ن.م، الدفتر الأوّل، حكاية الدرويش والمرأة.

٥٣ ـ ن.م، الدفتر الثاني، طعن غريب للشيخ.

٥٤ ـ ن.م، الدفتر الثاني، حديث عائشة مع النبي (ص)، والفأرة وسحب زمام الناقة.

٥٥ ـ ن.م، الدفتر الثاني، تهكم الصوفية عند الشيخ على ذلك الصوفي.

٥٦ ـ الإحياء، ص ٨٢.

٥٧ ـ ن.م، ج٤/ كتاب النيّة والإخلاص والصدق، ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

٥٨ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، نمو شجرة الخروب في زاوية المسجد الأقصى.

٥٩ ـ الإحياء، ج١/ كتاب العلم، ص٨٧ وأيضاً ج٣، ص٩٧.

٦٠ ـ المثنوي، الدفتر الثاني، الشيخ خضروية وشراء الحلوى.

٦١ ـ الإحياء، ج٤، كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٤٨.

٦٢ ـ ن.م، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص٢٤٦.

٦٣ ـ ن.م، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص١٠٣.

٦٤ ـ المثنوي، الدفتر الثالث، قصّة صيّاد الأفاعي.

٦٥ ـ الإحياء، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص١١٦.

٦٦ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، قصّة رسول قيصر وعمر. إنّ كلام المولوي عن الجبر والتفويض يضم قسماً كبيراً من المثنوي واهتمام المولوي بهذه المسألة يدلّ على أشعريّته ودفاعه عن التفويض تجاه تهمة الجبر، وأيضاً يدلّ على الأخذ من آثار الغزالي الذي بدوره اهتمّ كثيراً بهذه المسألة. ويدلّ على أنّ هذه المسألة هي مشكلة جميع العرفاء الذين يريدون أن يجمعوا بين الفناء والتّوحيد والتوكّل والتفويض.

٦٧ ـ الإحياء، ج١/ كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء اللّيل، ص٣٣٦.

٦٨ ـ ن.م، ج٤/ كتاب المحبّة والشوق الإنس والرّضا، ص٣٠١.

٦٩ ـ ن.م، ص٣١٧.

٧٠ ـ المثنوي، الدّفتر الثاني، قصّة لقمان والخواجه.

٧١ ـ الإحياء، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص٢٤٧.

٧٢ ـ المثنوي، الدفتر الثالث، حكاية صيّاد الأفاعي والتنين.

٧٣ ـ الإحياء، ج٢/ كتاب آداب العزلة، ص٢٢٨.

٧٤ ـ ن.م، ج٣/كتاب ذمّ الغرور، ص٣٩٦.

٧٥ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، حكاية سليمان وبلقيس.

٧٦ ـ الإحياء، ج٤/ كتاب المحبّة والشوق والإنس والرّضا، ص٣١٤.

٧٧ ـ ن.م، ج٤/ كتاب الخوف والرجاء، ص١٧٧ ـ ١٧٨.

٧٨ ـ المثنوي، الدفتر الثالث، ظهور حمزة (رض) في الحرب حاسراً.

٧٩ ـ الإحياء، ج٢/ كتاب آداب النكاح، ص٢٤ ـ ٢٥.

٨٠ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، حكاية الأسد والوحوش.

٨١ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص١٨.

٨٢ ـ ن.م، ج٣/ كتاب ذمّ الكبر والعجب، ص٣٤٨.

٨٣ ـ ن.م، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٣٩٥.

٨٤ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، في تفسير الحديث النبوي: «إنّ الله تعالى خلق الملائكة...».

٨٥ ـ ن.م، الدفتر الثالث، حال الأعمى الذي يرى البعيد والأطرش الذي يسمع جيداً.

٨٦ ـ ن.م، الدفتر الخامس، قصّة الحكيم والطاووس.

٨٧ ـ الإحياء، ج١/ كتاب العلم، ص٥٥.

٨٨ ـ ن.م، ج١/ كتاب العلم.

٨٩ ـ ن.م، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص٩٣.

٩٠ ـ ن.م، ج٤/ كتاب الخوف والرّجاء ص١٧٥ ـ ١٧٦.

٩١ ـ المثنوي، الدفتر الخامس، حكاية الحكيم والطاووس.

٩٢ ـ ن.م، الدفتر السادس، قصّة الفقير الذي يبحث عن الكنز.

٩٣ ـ ن.م، الدفتر السادس، حكاية المسلم واليهودي والمسيحي.

٩٤ ـ ن.م، الدفتر الرابع، قصّة نمو شجرة الخرّوب في زاوية المسجد الأقصى.

٩٥ ـ ن.م، الدفتر الأول، في بيان أنين الحنّانة من فراق الرّسول (ص).

٩٦ ـ الإحياء ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص١٩ ـ ٢٠.
٩٧ ـ المثنوي، الدفتر الثاني، نصيحة الصوفي للخادم.
٩٨ ـ ن. م، الدفتر الثاني، حكاية الرّجل الأحمق والدبّ.
٩٩ ـ ن. م، الدفتر الأول، في بيان اضهار حال النفس ومكرها.
١٠٠ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص٢٠.
١٠١ ـ المثنوي، الدفتر السادس، بيان استمداد العارف من منبع المياه الأبدية.
١٠٢ ـ ن. م، الدفتر الرابع، مدح العقلاء من قبل النبي.
١٠٣ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب ذمّ الدنيا، ص٢٢٧.
١٠٤ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الجاه والرّياء، ص٢٨٢: «لأنّ في العلم استيلاء على العلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبيّة...».
١٠٥ ـ ن. م، ج٢/ كتاب الحلال والحرام، ص١٠٩.
١٠٦ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الجاه والرّياء، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.
١٠٧ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٤١٣.
١٠٨ ـ ن. م، ج٤/ كتاب المحبّة، ص٣٣٧.
١٠٩ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، قصّة «پير چنگي».
١١٠ ـ ن. م، الدفتر السادس، قصّة الغريب المديون. إنّ المرحوم فروزانفر في كتاب «أحاديث مثنوي» بعد ذكر هذه الأبيات، ينقل الحديث التالي ويقول إنّ هذه الأبيات متناسبة مع هذا الحديث «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلّون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم» (أحاديث مثنوي، ص٢٦٦)؛ لكنّ المطّلع على كتابات الغزالي يعلم أنّ تلك الأبيات، قبل أن تحتوي على مضمون هذا الحديث، تحتوي على نفس ألفاظ وأفكار الغزالي.
١١١ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، قصّة بناء المسجد الأقصى من قبل سليمان.
١١٢ ـ ن. م، الدفتر الرابع، في تمثيل الدنيا بالأتون، والتقوى بالحمام، والمترفون لجمالة السرجين.
١١٣ ـ ن. م، الدفتر السادس.
١١٤ ـ ن. م، الدفتر الرابع، سؤال رجل من عيسى (ع).
١١٥ ـ الإحياء، ج١/ كتاب العلم، ص١٧.
١١٦ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، حكاية الرّجل النحوي في السفينة.
١١٧ ـ «فلا يتقدّم متقدّم ولا يتأخّر متأخّر إلاّ بالحق واللّزوم، وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولو لا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين، تعالى الله عن قول الجاهلين علوّاً كبيراً». (الإحياء، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٥٥).
١١٨ ـ المثنوي، الدفتر الخامس، حكاية الجبري ومؤمن من أهل السنّة.
١١٩ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٣٨٩.
١٢٠ ـ ن. م، ج٤/ كتاب الخوف والرّجاء، ص١٥٩ ـ ١٦٠. أبو الفضل عبدالرحيم العراقي الذي جمع أسناد أحاديث إحياء العلوم في كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، يقول عن هذا الحديث الذي مضمونه: إنّي لم أجد له أصلاً، ويمكن أن يكون مقصود الغزالي أنّ هذا الخبر من الإسرائيليّات. إنّ المرحوم فروزانفر لم يشر أيضاً إلى هذه الأبيات وإلى اقتباس المولوي من هذا الحديث المنّتحل في كتابه «أحاديث مثنوي».
١٢١ ـ المثنوي، الدفتر السادس، مناظرة الطير والصيّاد.
١٢٢ ـ الإحياء، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٦١ ـ ٢٦٢
١٢٣ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، قصّة نمو شجرة الخرّوب في زاوية المسجد الأقصى.
١٢٤ ـ ن. م، الدفتر الثالث، صفة بعض الأولياء الراضين بأحكام القدر.
١٢٥ ـ ن. م، ج٣، قصّة الدقوقي.
١٢٦ ـ الإحياء، ج٤/ كتاب المحبّة، ص٣٥٦.
١٢٧ ـ ن. م، ج٤، ص٣٥٢، وج٢/ كتاب آداب النكاح، ص٢٥: «أمّا الكفر والشر فلا تقول إنه مرضيّ ومحبوب بل هو مراد...».
١٢٨ ـ المثنوي، الدفتر الثالث، التوفيق بين هذين الحديثين اللّذين...
١٢٩ ـ الإحياء، ج١/ كتاب العلم، ص٣٥ ـ ٣٦.
١٣٠ ـ ن. م، ج٢/ كتاب آداب السماع والوجد، ص٢٧٥.
١٣١ ـ أنظر مناقب العارفين، ج١، ص٤٨٣ ـ ٤٨٤.
١٣٢ ـ المثنوي، الدفتر الرابع، بيان سبب الفصاحة..
١٣٣ ـ ن. م، سبب هجرة إبراهيم الأدهم.
١٣٤ ـ ديوان شمس، غزل ٣٠٤.
١٣٥ ـ الإحياء، ج٤/ كتاب التفكّر، ص٤٢٨.
١٣٦ ـ ن. م، ج٢، كتاب آداب السماع والوجد، ص٢٨٠.
١٣٧ ـ المثنوي، الدفتر الخامس، في معنى حديث «لا رهبانيّة في الإسلام».
١٣٨ ـ ن. م، الدفتر الأول، قصّة الملك والجارية.
١٣٩ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص٣٨.
١٤٠ ـ ن. م، ج٤، كتاب المحبّة، ص٣٦٥.
١٤١ ـ المثنوي، الدفتر الثاني، تهكّم الصوفيّة عند الشيخ على ذلك الصوفي.
١٤٢ ـ الإحياء، ج٣/ كتاب ذمّ الكبر والعجب، ص٣٦٤. إنّ المرحوم فروزانفر قد أورد حديثين يتناسبان مع مضمون هذين البيتين المتعولين، لكنّه بالنّظر إلى ماجاء في إحياء العلوم نرى أنّ هذين البيتين ترجمة صادقة لكلام الغزالي. (راجع: أحاديث مثنوي، ص٢٠٧).
١٤٣ ـ المثنوي، الدفتر السادس، قصّة المسلم واليهودي والمسيحي.
١٤٤ ـ الإحياء، ج٤ / كتاب المراقبة والمحاسبة، ص٤١٨.
١٤٥ ـ المثنوي، الدفتر الثاني، قصّة العطشان الذي يرمي الحصى في الجدول.
١٤٦ ـ كيمياي سعادت، الغزالي، ج١/ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٥١٧. (تحقيق حسين خديو جم، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، طهران ١٣٦١ش). يقول المرحوم فروزانفر: «لم

أعثر على هذا الحديث بالشكل الذي ورد في المثنوي في أي مصدر؛ ثم ينقل قصّة متعلقة بعمر تناسب المقام من إحياء علوم الدين، نقلها الغزالي في كتاب كيمياي سعادت بعد قصّة عليٍّ والصنديد الكافر أيضاً (راجع: مأخذ قصص وتمثيلات مثنوي، ص٣٧). وجدير بالذكر أنّ الأستاذ يوسفي نبّه سابقاً إلى هذه النقطة (راجع: غلام حسين يوسفي، «از كيمياي سعادت»، آرام نامه، ص١٩٤، طهران، ١٣٦١ش).

١٤٧ ـ المثنوي، الدفتر الأوّل، القصّة الأخيرة.

